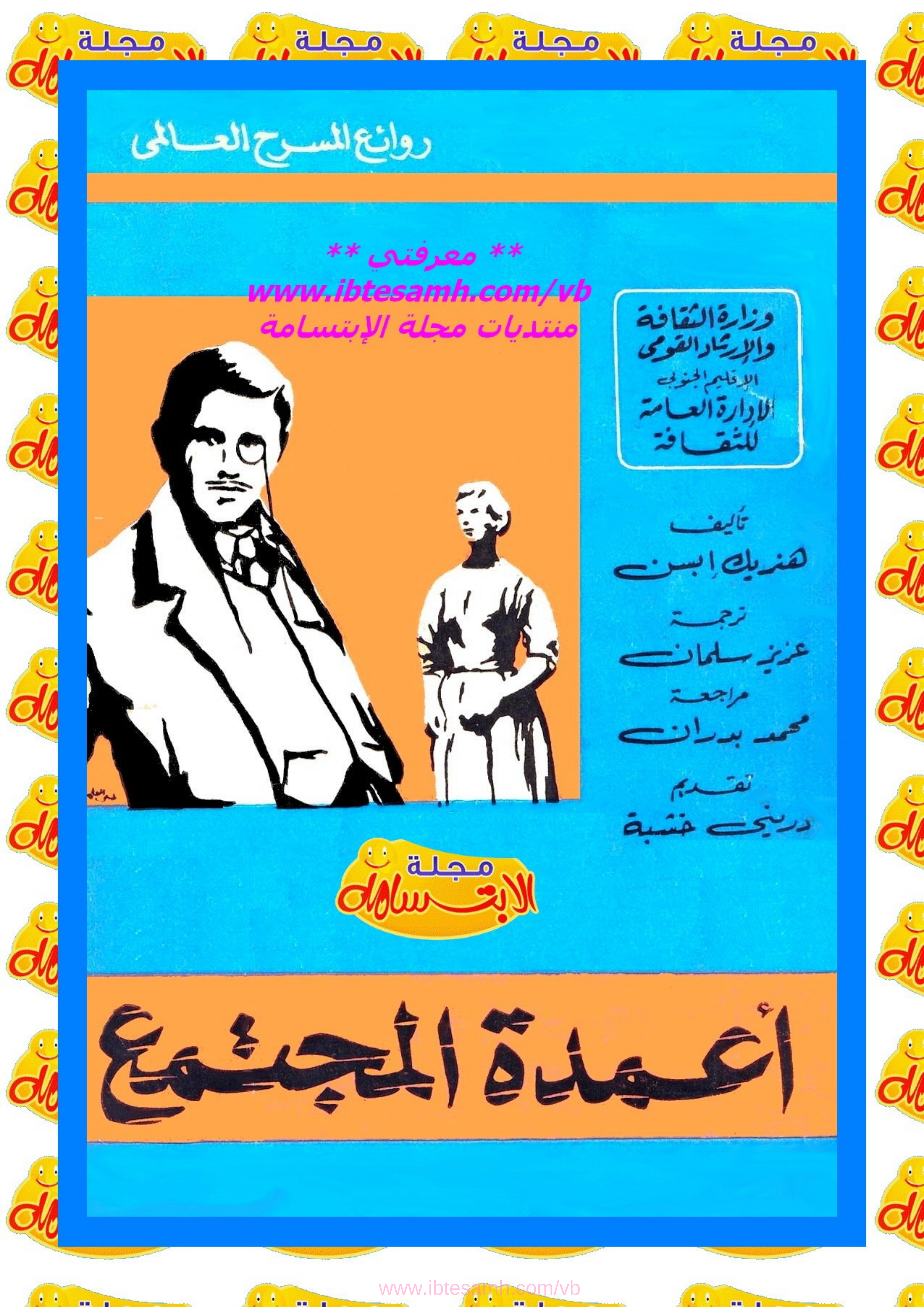

روائع المسرح العالمى
** معرفتي **
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة
وزارة الثقافة
والإرشاد القومى
الإقليم الجنوبى
الإدارة العامة
للثقافة
تأليف
هنريك إبسن
ترجمة
عزيز سليمان
مراجعة
محمد بدران
تقديم
دريني خشبة
مجلة الابتسامة
أعمدة المجتمع

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

حصريات مجلة الابتسامة
* شهر أكتوبر 2016 *

www.ibtesamh.com

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي



أعمدة المجتمع

تأليف هنريك إبسن

ترجمة عزيز سليمان   مراجعة محمد بدران

تقديم دريني خشبة

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الإقليم الجنوبي

الإدارة العامة للثقافة

هذا الكتاب ترجمة لمسرحية أعمـــدة المجتمع تأليف
هنريك إبسن عن النص الانجليزى طبعة بنجوين سنة
١٩٥٢ المترجم عن النرويجية بقلم أونا إليس — فيرمور .

THE PILLARS OF THE COMMUNITY

by

Henrick Ibsen

مسرح إبسن

بقلم
دريني خشبة

من أعجب العجب أن يكون هذا الرجل الغريب الذى كان منطوياً على نفسه ، مترفعاً عن الاختلاط بالناس . والذى كان يتهمه مواطنوه جميعاً بأنه شخص (غير اجتماعى !) ... وأنه شخص لايكاد أحد يتصل به حتى ينفر منه وينأى عنه ، لما يلمسه فيه من الكبر والاستبداد بالرأى والزراية بأفكار الناس ... نقول إن من أعجب العجب أن يصبح هذا الرجل أكبر كاتب مسرحى اجتماعى بين كتاب المسرح جميعاً ، ولا يكتفى بأن يكون أكبر كاتب مسرحى اجتماعى ، بل يستطيع كذلك أن يضع الأسس لفلسفة اجتماعية جديدة تغير وجه المجتمع ، وتقلب موازين الفكر الاجتماعى فى العالم كله حتى لا يكاد يوجد أحد فى هذا العالم ، ومن أبناء المجتمع الحديث بخاصة ، لم يتأثر إلى حد ما ، بفلسفة « إبسن » الاجتماعية ؛ ونقول فلسفة « إبسن » وإن أنكر هو أنه من الفلاسفة ، وإن زعم كثيرون ممن كتبوا عنه أو تناولوا أدبه أنه لم يكن فيلسوفاً على الإطلاق ، بل لاشأن له بالفلسفة .

فكيف كان هذا ؟ وكيف استطاع رجل واحد أن

يحدث كل هذا الدوى فى العالم أجمع ؟ ومن الذى مهد له الطريق على الأقل ؟ وما هى ظروف إبسن التى جعلت منه هذا الكاتب العبقرى ؟ ومن من الفلاسفة والمفكرين ورجال المسرح وضعوا فى رأسه خمائر التفكير لهذا العمل العظيم ؟ وإذا قلنا إنه كان أكبر كاتب اجتماعى وجب أن يكون أديباً واقعياً ... فما هو المذهب الواقعى فى المسرح ؟ وكيف نشأ هذا المذهب وتطور .. وأين .. ومن هم الكتاب المسرحيون الواقعيون فى التاريخ ؟ وإذا كان إبسن قد أحدث ثورة اجتماعية . فعلى أى شئ كانت ثورته .. وضد من ؟

كل هذه أسئلة لا بد من الإلمام بها لكى يحيط القارئ بهذا الرجل الخارق الذى نقرأ مسرحيته « أعمدة المجتمع » مترجمة للمرة الأولى اليوم .. وهى المسرحية الأولى تقريباً من مجموعة مسرحياته الاجتماعية ، التى استحق بها أن يكون أكبر كاتب اجتماعى « ثورى » فى تاريخ المسرح .

* * *

ولد « هنريك إبسن » سنة ١٨٢٨ فى بلدة « سكين Skein » جنوبى النرويج ؛ وكان أبوه من كبـــار تجار الأخشاب بها ، أما والدته فقد كانت من أرومة ألمانية ... ومن أرومة تجرى فى عروقها دماء الفن الدافئة .. ولهذه الأمومة من تلك الناحية أثرها الكبير فى إبسن ما دام أن العرق دساس ... وأرجو ألا ننسى هذا أبداً ونحن ندرس حياة

إبسن ... يجب ألا ننسى ما ورثه عن أمه من تلك الدماء الألمانية الدافئة ، وهـذا العرق الفني الذى وهب المسرح واحداً من أعظم بناته .

ثم قضى إبسن ثمانى سنين من عمره فى ظروف راضية وعيش ناعم ، حينما كان أبوه فى أحوال مادية ناجحة .. حتى إذا مضت تلك الأعوام الثمانية تغيرت الحال غير الحال ، وعبست الأيام للوالد المسكين فأفلس ، وانتقل بأسرته إلى الريف فى قرية « فنستب Venstöp » حيث كانت العائلة لا تزال تمتلك بيتاً متواضعاً ... وهناك بقى الفتى « هنريك » حتى بلغ من عمره خمس عشرة سنة ؛ ولما كان أكبر إخوته فقد اضطرته أحوال الأسرة المالية أن يعاون فى إصلاح حالها بالتماس شئ من الـرزق ، ومن ثمة فقد التحق باحدى الصيدليات بمدينة « جرمستاد » حيث ظل بها ست سنوات ؛ وفى « جرمستاد » ظهرت تلك السجايا التى عرف بها إبسن طوال حياته ... سجايا الانطواء واعتزال المجتمع والترفع عن المهاترات أو المشاركة فى الشائعات والمشى بالنميمة بين الناس .. فلماذا ؟ لعل إبسن كان يضيق بهذا كله ، ويكتفى منه بأن يكون متفرجاً .. وناقداً ، إستعداداً لرسالة هامة سوف يقوم بها .

ثم التحق بجامعة كرستيانيا (أوسلو) ليدرس الطب ، وتأثر وهو بالجامعة بالكاتب الخطيب الرومانى « شيشرون » وبالمؤرخ المشهور « سالست Sallust » ، حتى لقد كتب

مسرحيته الرومنسية العاطفية الأولى « كاتالين » بوحى من هذين الأديبين ، ولم يكد يجاوز الثانية والعشرين من عمره (١٨٥٠) ، وظهرت فى الرواية بوادر عبقرية الكاتب الشاب ، كما ظهر فيها ما كان ينطوى عليه من السخط على المجتمع والضيق به ، ذلك الضيق الذى كان بذرة لثورة إبسن الاجتماعية الكبرى ، والتى انفجرت حينما آن لها الأوان ، وبعد سنين طويلة . وقد كان له صديقان ممن نشأوا معه فى « جرمستاد » كانا قد سبقاه إلى العاصمة فقاما بمساعدته على الظهور ، وربط أسبابه بأسباب المشاهير فى « أوسلو » .. كما عاونا على نشر مسرحيته ، وقدماه إلى الكاتب المسرحى النورويجى الكبير « بجورنسن » .. كما قدماه إلى عازف الكمان الأشهر « أول بل Ole Bull » ، الذى كان قد أنشأ مسرحاً صغيراً فى « برجن » .. وكان الرجل قد قرأ ما كتبه إبسن فأدرك ما ينطوى عليه من المواهب المسرحية ، ولهذا دعاه لكى يكون شاعر مسرحه ومديره الفنى ، وكانت هذه فرصة ذهبية اهتبلها إبسن ، وقبل عرض «أول بل» ، وأصبح من نوفمبر سنة ١٨٥١ مديراً لهذا المسرح الصغير الذى كان بمثابة حقل تجارب لكاتب المستقبل الكبير ... بل لعل قيامه بهذا المنصب كان أهم العوامل التى نذر إبسن حياته كلها للمسرح بسببها ؛ فلقد ظل يقوم بإدارة المسرح الفنية ومهمة الإخراج وجانب كبير من تأليف رواياته « التجريبية » فيه

من سنة ١٨٥١ حتى سنة ١٨٥٧ أخرج فيها مائة وخمس وأربعين مسرحية ، مما أكسبه بلا شك خبرة واسعة بدقائق فن الصياغة المسرحية ، أو «التكنيك» المسرحى ، وجعل له حاسة سادسة فنية بما ينبغى وما لا ينبغى ، فى شئون المسرح والمسرحيات والتمثيل ، ودنيا الممثلين .

وفى أثناء قيامه بالإدارة الفنية والإخراج فى هذا المسرح تعرف إبسن إلى طائفة من المؤلفين والمخرجين الوطنيين والأجانب وكان على رأس هؤلاء جميعاً المؤلف الفرنسى الكبير « يوجين سكريب (١٧٩١ — ١٨٦١) » .. الكاتب المسرحى الذى قفز بفن المسرحية قفزة لم يفقه فيها كاتب ، والمؤلف الخصب القريحة ، الوافر الإنتاج الذى كتب حوالى خمسمائة مسرحية تحرى فيها جميعاً أن تكون من حيث الشكل شيئاً جديداً يوائم العصر الواقعى الذى فرضه على العالم الانقلاب الصناعى فى القرن التاسع عشر ... لقد كان سكريب يعنى فى رواياته ، ومعظمها من (الفودفيل) بالحبكة المسرحية المتقنة أو « ال Well-Plotted » أو « ال Well-Made » وقد أخرج له إبسن حوالى مائة مسرحية من مسرحياته ، فلا عجب أن يكون بعد ذلك قد تشرب فنه ، وأصبح من أحسن تلاميذه ... ونحن نحس هذا الأثر فى معظم مسرحيات إبسن ، ولا سيما مسرحياته الاجتماعية كلها ، بل فى كثير من مسرحياته الرومنسية ، ومسرحياته الرمزية أيضاً .

ثم جد عامل آخر فى حياة إبسن .. وخير من ذلك أن نقول إنه قد أتيحت له فرصة جديدة لا يقل أثرها فيه عن توليه منصب إدارة مسرح برجن الصغير ، والقيام بمهمة الإخراج فيه .. أما هذه الفرصة فهى قيام إبسن برحلة إلى الخارج ليتصل فيها بعالم التمثيل والممثلين .. وهى رحلة هيأتها له منحة مالية صغيرة منحتها له الدولة فمكنته من زيارة الدانمركة وألمـــانيا .

أما زيارته للدانمركة فقد لقى فى أثنائها الكاتب الوجودى الشهير ، بل زعيم الوجوديين الدينيين « سورن كيركارد » ؛ الرجل الذى نأى بنفسه عن جميع الخرافات الدينية ، وأنشأ المذهب الوجودى الذى جعل لبابه أن يكون كل منا مسيحاً يتحمل فى سبيل فكرته التى آمن بها والتزمها الآلام وكل صنوف التعذيب ، دون أن ينافق أو يوارب أو يرائى ، ودون أن يقبل مثقال ذرة من الزيف أو إفساد ضميره ، أو مسخ شخصيته بما يجعله دائماً مزعزع العقيدة سقيم الوجدان مضيَّع الكرامة ، لا استقلال له ولا ذاتية .

والذى يحرص على معرفة إبسن معرفة حقة يجب ألا ينسى هذا أبدا ؛ يجب أن يذكر أثر « كيركجار » فيه ، ومقدار إيمانه بفلسفة هذا الوجودى الأول ، الذى كان يحرص أشد الحرص على استقلال الفرد وحسن إيمانه بنفسه ، وأن تكون أفكاره وتصرفاته نابعة من ذاته .. من الداخل .. وليست

أفكاراً أو تصرفات مفروضة عليه من الخارج ... يجب أن يكون الإنسان شخصية حرة الرأى مستقلة الفكر ، نزيهة مستقيمة ، لا تعيش فى بحر من القاذورات دون أن تدرى ... ولا تأكل السحت والمجتمع يخدعها بأنها تأكل من حلال ، ولا يرغمها تنازع البقاء على مختلف أنواع الرذائل ، وهى تحسب أنها تعيش فى جنة من الفضائل .

هذا هو ما أفاده إبسن من زعيم الوجودية الأول . وقد صادف فى نفسه هوى وأىّ هوى ... أليس هو هذا الرجل الانطوائى الذى كان يسمو بنفسه على مجتمع « جرمستاد » والناس يحسبونه رجلا متكبراً متغطرساً مزهواً بنفسه ، فى حين أنه كان يلمس رذائلهم ويدرسها ، ويعد لتحليلها وعرضها على البشرية فى كل زمان ومكان قلمه الذى لم يتعب من القيام بوظيفته أبدا ، والذى لم يكل من الكتابة حتى أدى الرسالة ، وأخزى المجتمع الفاسد المتكالب على المغانم ... المجتمع الذى يعيش فى دنيا من النفاق والزيف والخداع وجميع صنوف الآثام .

أما رحلته فى ألمانيا فقد أتاحت له مشاهدة عباقرة المسرح وفن المخرجين العظام فيها . لقد شاهد هناك لأول مرة فى حياته مسرحيات شيكسبير وهبل وهولبرج وسكريب .. وهم الذين كان لفنهم أعمق الأثر فى فنه ... وقد سحره شيكسبير بحيث ظل يتعثر فى غباره زمناً فى طائفة كبيرة من رواياته الرومنسية ..

التي كانت من حيث جوها وفنها شيئاً رومنسيا شيكسبيريا خالصاً ..
أما من حيث الفكرة والهدف وطريقة التناول فقد كانت أشباح هولبرج وكيركجارد وسكريب وهبل تتخايل وتظهر ثم تغيب .

وقد سحرته ألمانيا بالفعل ، وقد عاد منها بنسخة من كتاب « المسرحيــة الحديثة das moderne Drama » لمؤلفه الناقد الألماني الكبير « هرمن هتنر Herman Hettner » وفيــه يوصي المؤلف الكتاب المسرحيين بضرورة تطوير شخصياتهم المسرحية من الناحية النفسية (السيكلوجية) ، وكان يضع الركز كله في كتابه هذا على تلك الناحية ، مما لفت نظر إبسن إلى أهمية ذلك في بناء المسرحية . وبالفعل بدت عناية إبسن بعد ذلك بتطوير نفسية شخصياته كلها في جميع مسرحياته الاجتماعية ، ومن بينها مسرحية « أعمدة المجتمع » هذه .

ثم عاد بعد هذه الرحلة القصيرة الخاطفة ليكتب ويخرج مسرحياته الرومنسية ، التي كان يستمد موضوعاتها من تاريخ النرويج القومي ، ويضفي عليها ألواناً مما رآه في ألمانيا من روايات شيكسبير التاريخية وغيرها . حتى إذا كانت سنة ١٨٥٨ ، وهي السنة التي ترك فيها العمل بمسرح برجن الصغير ، تزوج إبسن من المرأة التي كان لها أعمق الأثر في حياته .. المرأة المخلصة الوفية التي لزمته طول حياته ، والتي

كانت تمده بآرائها العميقة ولفتاتها المثمرة كلما قرأ عليها فصلا أو درس معها فكرة رواية . وقد عين فى هذه السنة أيضاً مديراً لمسرح أوسلو ، ولبث فى هذا المنصب الجديد إلى سنة ١٨٦٢ . وقد ضاعفت هذه السنون الخمس التى قضاها فى العاصمة سخطه على الأوضاع الاجتماعية القائمة كما ضاعفت نقمته على النفاق الاجتماعى وجهل قادة الفكر وادعاء المتصدرين للشئون العامة ... وبالاختصار ضاق صدره بأعمدة المجتمع (!) وبالأحرى بالبارزين وأهل الصدارة فى ميادين النشاط الاجتماعى والاقتصادى والدينى والسياسى ... لقد رأى الأعيان ورجال الاقتصاد لصوصاً سفاحين مصاصى دماء .. ورأى رجال الدين منافقين يدعون الناس إلى الخير فوق المنبر ، حتى إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، ثم غلبت عليهم لذاتهم وأهواء نفوسهم ، فأحبوا ووقعوا فى الإثم ، وناصروا الأغنياء على الفقراء ، وأضاعوا حقوق الله ... أما الساسة فمنافقون أدنياء ، يسكرون الجماهير بالخطب ويساومون فيما لا ينبغى أن يساوموا فيه ... وأما الصحفيون فمختالون ، يهيمون فى كل واد ، وينبحون فى كل قمر ، وينتقدون كل خطة حتى إذا طمعوا منها رضوا ...

وشرع إبسن ينتقد هذا ويعرضه فى طائفة جديدة من مسرحياته التى كانت تصطبغ بالرغم من لبابها الواقعى بصبغة رومنسية ، وكان من أحسن هذه المسرحيات رواية · كوميديا

الحب (١٨٦٢) التى جعل بطلها قسيساً من رجال الدين تمثل فيه النفاق الدينى فيما يتصل بالحب والزواج ، وراح يوصى من يحب بألا يتزوج ممن يحب حتى يبقى على حبه فلا يقضى عليه بالزواج . وبالرغم من قيمة هذه الرواية التى لاتزال تمثل حتى الآن وتلقى نجاحاً كبيراً ، فقد قابلها الجمهور النرويجى بفتور عجيب ، والظاهر أن تدين هذا الجمهور وما يكنه لرجال الدين من احترام مهما كانت حقيقتهم هو الذى صرف قلوب الشعب عن الرواية ، وبالتالى خلق لإبسن ريحا معاكسة ، سيظهر أثرها وشيكاً حينما يهاجر من البلاد ، وحينما يحمل على رجال الدين وعلى الشعب فى أكثر من رواية حملات كثيرة شعواء .

نعود إلى تأثر إبسن بكتاب هرمن هتنر (المسرحية الحديثة) وما كان يوصى به الكتاب المسرحيين بضرورة تطوير شخصياتهم الروائية من الناحية السيكلوجية . فنذكر أن إبسن عنى بذلك التطوير عناية كبيرة فى مسرحيته : المدعون (١٨٦٤) التى يتلخص موضوعها فى صراع بين شخصيتين على عرش النرويج . أما إحدى الشخصيتين فذات إرادة حديدية لا تعرف الانثناء ، وأما الأخرى فشخصية واهية الإرادة كثيرة التفكير والأوهام والتصورات .. مثلها مثل هملت ، فى حين أن الشخصية الأولى تشبه كلوديوس عم هملت .. الذى كان إذا أراد فعل ... ومن تلك الخلاصة

المبتسرة نلاحظ أن الموضوع يصلح كل الصلاحية لأن يكون ميداناً خصباً لعلم النفس ولتطوير الشخصيتين الرئيسيتين على ضوئه .

* *

وحز فى نفس إبسن ألا يجد التشجيع الكافى من مواطنيه ، بل على العكس ، يلقى الجحود ونكران الجميل ، ويلقى الحرب الشعواء من رجال المسرح وأوباش الممثلين الذين اتهموه بالاستبداد والغطرسة والعنجهية و .. الغرور !.. فيضيق الرجل ذرعاً بهـذا الجو الموبوء ... ويضيق بالذى يراه من تهافت وصغار وانحلال ، يجتاح المجتمع النرويجى اجتياحاً . . ويفتك أشد الفتك بالجيل الجديد الناشئ جيل الشباب الذى لاهم له إلا التوافه من الأمور ، والانشغال بالأوهام وأحلام اليقظة عن الجد ، والتمسك بالمثل العليا فى حياة لاينجح فيها الصغار الأغرار الحالمون ، فقرر أن يهاجر .. وأن يغادر هذه البلاد التى لم تعد الحياة فيها صالحة لنشوء المواهب ورعاية الملكات ، ونضوج الكفايات ... وحز فى نفس صديقه الكاتب المسرحى الكبير « بجورنسن » أن يكون مصير إبسن هو هذا المصير .. وفطن الرجل إلى أن الذى ينتاب إبسن هو مرض نفسانى لا بد له من التفريج والمداواة ، وأن أحسن وسيلة للتفريج والمداواة هى الرحلة . . والرحلة الى بلاد الفنون الراقية التى خلق لها إبسن ، وقدم الدليل على

أنه رجلها بل عاهل مستقبلها الميمون .. وسعى الرجل حتى وافق البرلمان على منح إبسن منحة مالية لا تتجاوز ٣٥٠ دولاراً بعملتنا الحالية ، لكى تعين صديقه على القيام بتلك الرحلة ، ثم اتفق « بجورنسن » مع نخبة من إخوانه المعجبين بإبسن على أن يمدوه بمبالغ شهرية حتى يستطيع تحقيق ما يرجوه وما يرجونه هم من تلك الرحلة التى كانوا يعرفون أنها تمهد لرسالة عظيمة يقوم بها إبسن ... وكاد إبسن أن يرفض هذا كله ، ثم قبل بعد أن رضوا هم بأن يكون كل درهم يصله منهم ديناً عليه يسدده حينما يصلح الله الأحوال .

وبدأت الرحلة الميمونة ، وسافر إبسن ومعه زوجته العظيمة ، وابنه « سيجورد » ... ومر الرجل بالدنمركة حيث لقى « كيركجارد » لثانى مرة .. وكان زعيم الوجودية الآن فى عنفوانه ، وازداد إيمان إبسن بدعوته ، وثمل فعلا بهذه الدعوة .. ثم طاف بألمانيا حيث شاهد نهضتها المسرحية العظيمة ، وشاهد مسرحيات « هبل » التى كانت مرحلة حسنة نحو الواقعية ، ثم ذهب إلى إيطاليا واستقر به المقام فى رومة (١٨٦٤) ... وهناك .. أخذ إبسن يجتر أفكاره ، ويستعرض أحوال بلاده ، ويدهش لهذا التخاذل وروح التهافت ، والانهيار الخلقى الذى يجتاح الشباب .. وقر قراره على أن يعرض هذا كله فى روايتين من أعظم رواياته ، بدأهما بمسرحية « براند » (١٨٦٦) وقفى عليها بمسرحية « بيرجنت » (١٨٦٧) وهما مسرحيتان

رمزيتان قصد بالأولى أن يضرب لشباب النرويج خاصة ، ولشباب العالم بوجه عام المثل على وجوب الأخذ بروح الجد والصرامة ، والسلوك الحازم الذى لا ينثنى فى سبيل إدراك أوطاره وفى سبيل رسالة الحق والصدق والخير مهما كانت العقبات التى يلقاها الإنسان فى هذا السبيل ، ولو فقد ابنه المريض ، وفقد فى النهاية نفسه كما حدث لبراند هذا القس المثالى الذى استهان فى سبيل إدراك غايته من الخير بهذه التضحية الكبرى التى قام بها ، والتى أذهل بها مواطنيه جميعاً . أما « بيرجنت » فقد عرض علينا إبسن فيها صورة مضادة لشخصية « براند » .. صورة الشاب الجعجاع الذى يتشدق بما ليس فيه ، والذى يهيم على وجهه فى هذه الدنيا وهو يحلم أحلام اليقظة ، ورأسه عامر بالأوهام التى لا يحاول محاولة جدية أن يحقق منها قليلا ولا كثيراً ... الشاب الذى يكون مصيره الفشل والإخفاق وانهيار أوهامه كما تنهار الرمال ، وكما تتبعثر كومة القش حين تذروها الرياح .

وفى سنة ١٨٧٠ يبدأ إبسن كتابة مسرحيته الثنائية العظيمة (قيصر والجليلى Kejserog Galilaeer) التى لم يفرغ منها إلا سنة ١٨٧٣ ، ويستعرض فيها إبسن ذلك النضال المستعر بين الوثنية وبين الدين .. بين الدنيا وبين الروح .. ثم ينتهى إلى أن الخير كل الخير هو فى قيام عالم يمزج بين

هذين بحيث لايغض من قيمة أحدهما على حساب الآخر .

* * *

وإلى هنا تنتهى تلك الفترة الرومنسية فى أدب إبسن الفترة التى كان يؤلف فيها مسرحياته شعراً — إلا ما ندر — ويملؤها بالعاطفة المستعرة والخيال المشبوب ..

ثم تبدأ الفترة الواقعية فى تلك الحياة العامرة الزاخرة ... تبدأ من سنة ١٨٦٩ ، بتلك الملهاة السياسية البديعة التى سخر فيها إبسن من السياسة والساسة ، سواء منهم المحافظون والأحرار ، وما يروجونه فى سوق الدجل من برامج ومبادئ ومذاهب ونظريات ، حتى إذا جاءت ساعة التنفيذ لم نر إلا المغانم تهتبل ، والمكاسب يجرى وراءها الجميع ، والشعب الضحية ينظر ولا يستطيع أن يفعل شيئاً . لقد كانت ملهاة (رابطة الشباب de unges forbund) صفعة نزلت حادة حامية على ساسة النرويج ، بل الساسة فى كل مكان فى ذلك العصر .. وكانت بالنثر طبعاً ، وكانت افتتاحية ناجحة لفترة المذهب الواقعى فى حياة إبسن ، وهى الفترة التى تلاحقت فيها مسرحياته الاجتماعية التى كانت أقوى مجموعة من نوعها ، قدمها أديب للإنسانية ، لينير لها الطريق إلى حياة أسعد ، وعيشة أنظف ، وأخلاق أرقى .

والمذهب الواقعى فى المسرح مذهب قديم ، وللناس فيه محاولات ترجع فيما وصل إلينا من تاريخ المسرح إلى مصر

القديمة نفسها ؛ ولعل « يوريبيدز » فى المسرح اليونانى هو
اعظم أديب جرئ كان يقدم مسرحياته الواقعية فى إطار
كلاسى ، فيه ظلال من الأساطير والخرافات التى كانت تربط
بين الشعب وبين السماء فى تلك الوثنية القديمة الموغلة فى القدم ؛
وقد جاء « أرستوفانز » فاستغل المذهب الواقعى فى ملاهيه
بمثل الطريقة التى استغلها « يوريبيدز » فى مآسيه ، ثم جاءت
فترة الملهاة الوسيطة والملهاة الحديثة فى تاريخ المسرح اليونانى
القديم فترعرعت الواقعية فيهما ، وضحك الناس على أنفسهم
ضحكاً شديداً متواصلا ... ثم انتقل مركز الثقل إلى رومة ،
وانتعشت الواقعية فى ملاهى الكتاب الرومانيين ... ثم تمضى
عصور وأحقاب يموت فيها المسرح حتى يكون عصر النهضة ،
وحتى تنتعش المسرحية الدينية ؛ ثم يزدهر المذهب الرومنسى ،
ويتلألأ فى سمائه نجــوم « شيكسبير » و « كالدرون »
و « دى فيجا » وغيرهم ... ثم يكون القرن السابع عشر
وتنهض فرنسا لإحياء المذهب الكلاسى اليونانى ، وتنجح
فى ذلك إلى حد كبير ، حتى تنتكس الموجة الكلاسية ،
وتقوم مقامها موجة رومنسية لم يكن لها بهاء الرومنسية العظيمة
السابقة ... ثم يضيق الناس بهذا كله ، ويظهر كتاب مقاحمون
يخرجون من تلك السجون المذهبية التى لا يريد الشعب دخولها ،
فيكتبون له مسرحيات تعرض قضاياه ، وتبحث مشكلاته
هو ، لا مشكلات ملوكه وأمرائه الأقدمين أو الحاليين ،

كما هو الشأن فى المذهبين الكلاسى والرومنسى .. ومن ثمة يبدأ المذهب الواقعى ... وهو يبدأ فى قصص « دى فو » و « فيلدنج » فى القرن الثامن عشر ، ثم تشتد ريحه فى قصص « بلزاك » و « فلوبير » و « جورج إليوت » و « تولستوى » و « دستويفسكى » وغيرهم من كتاب القرن التاسع عشر ؛ ويغلو بعض كتاب هذا المذهب فيسلكون طريقاً شاذة ، ويتحرون فى قصصهم نواحى الشذوذ والانحراف ، فيكون المذهب الطبيعى ... مذهب الأمراض والعلل الاجتماعية التى تصيب بعض الأفراد وبعض الطبقات ، ولا تصيب الشعب فى مجموعه .

وتنشأ إلى جانب ذلك مذاهب أخرى ، من بينها المذهب الرمزى .. ويعرف إبسن هذه المذاهب جميعاً ، لكنه يكاد يحصر معظم إنتاجه فى المذهب الرومنسى المزوج بشئ من الواقعية ، وفى المذهب الرمزى الذى يعالج فيه بعض القضايا الإنسانية ، ثم يخص المذهب الواقعى بأحسن إنتاجه الذى ينحصر فى مسرحياته الاجتماعية .

وكان إبسن من أحسن الذين استخدموا المذهب الواقعى فى القضايا الإنسانية ، ومشكلات الحياة وصلة الإنسان بالإنسان فى مسرحيات تقرأ وتشاهد فوق المسرح ؛ وهو لم يصل إلى فنه الأعلى إلا بعد تجارب ومحاولات نجح فى معظمها ؛ ومما تمتاز به مسرحياته أنها مسرحيات أفكار وليست

مسرحيات قصص .. وإبسن يفضل الفكرة على القصة ، والفكرة تأتى دائماً فى المرتبة الأولى من مسرحياته ، ثم تليها بعد ذلك قصة هذه الفكرة .. ومع هذا فهو قصاص بارع يكاد يستخدم جزءاً هاماً من المذهب الكلاسى ، وهو يسوق قصة الفكرة أو قصة المشكلة التى يتناولها فى مسرحيته .. ذاك أنه يأتى القصة من نهايتها لا من أولها ... إيه يبدأ مسرحيته بعد أن تكون قصتها ماضياً قديماً أو ماضياً قريب الحدوث .. لكنه ماض انتهى أو كاد ينتهى ، لولا موقف جديد يحييه ، ويرد إليه ما توقف من أنفاسه .. وسترى هذه الظاهرة واضحة فى تلك المسرحية التى ستقرأ ترجمتها بعد الفراغ من المقدمة .

وإبسن يحسن دراسة فكرته وهضمها قبل أن يبدأ كتابة روايته ؛ أما شخصياته الروائية فتكاد تحس من أول الرواية أنها شخصيات يعرفها إبسن معرفة وثيقة حتى لكأنه يرتبط بها برابطة قرابة أو دم أو نسب . إنه يعرف كل صغيرة وكبيرة من أمور كل شخصية وسجاياها ، وهو يعرض هذه السجايا عرضاً لا تحس فيه أى افتعال أو تصنع ، وهو يقيم بين شخصياته وحدة عجيبة ليس فيها نشوز أو خروج على النغمة العامة للرواية ، وذلك لأنه يحسن تنسيق هذه الشخصيات قبل أن يطلق لها العنان ، لتأخذ نصيبها فى الرواية ... إنك لاتكاد ترى فى الرواية الواحدة شخصية تشبه شخصية أخرى ، بل جميع الشخصيات لها كيانها المستقل وذاتها التى تتسم بما

لا تتسم به أية شخصية أخرى من الشخصيات التى تشترك فى عرض فكرة الرواية أو عرض قضيتها .. وهنا سر عظمة إبسن الذى يجعل الفكرة - فكرة المسرحية - نابعة من هذه الشخصيات ، وليست تابعة لها كما كان يتوهم آرسطو ... وإبسن يحرص الحرص كله على أن يجعل بطل الرواية أو ال Hero أو ال Protagonist شخصاً يختلف فى كل شئ عن خصم هذا البطل فى الرواية ، أو ال Antagonist وهذا شرط أساسى فى الروايات العظيمة يجعل الصراع بين هاتين الإرادتين صراعاً صاعداً مستمراً لا يقف ولا يركد ، حتى تنتهى المسرحية .

ومن أهم أركان فن إبسن المسرحى تطوير موضوعه والسير به فى طريق النماء ، من أول كلمة تقال فوق خشبة المسرح حتى الستار الأخير ، وحسن التنقل من حال إلى حال ، ومن موقف إلى موقف ، ومن أزمة بعد أزمة حتى يصل إلى الأزمة الأخيرة فى المسرحية ، ومن ذروة إلى ذروة حتى تأتى الذروة النهائية التى لا تجد ذروة بعدها ... وقد تتلمذ إبسن فى هذا كله على معظم الكتاب الكبار ، ولا سيما « سكريب » و « اسكندر ديماس الابن » .

وحوار إبسن حوار لطيف غير مفتعل ، وفيه حرارة وصدق ، وقد اكتسب هذه المزايا لحسن تنسيق شخصياته ، وطول خبرته بها خبرة المعاصر العارف .. إنها شخصيات

تكاد تتكلم من تلقاء نفسها في موضوعها الذى ينبع منها هى ، وليس من لسان المؤلف .. إنها شخصيات حية وليست دمى يحركها المؤلف كما يشاء .. ولذلك تكاد تراها تدخل المنصة بحساب موزون وتخرج منها بحساب موزون كذلك .. إنها تدخل عن روية وعن فكر .. ولا تدخل صدفة أو تخرج بحجة مفتعلة ، لا لأن المؤلف يريد أن يخلى المسرح لشخصية أخرى لايرى أن تسمع ماسوف يجرى وإلا تلف عليه الموضوع . ومن هنا ترى أن إبسن فنان أصيل عارف بأصول فنه الذى طوره عن « سكريب » وعن « ديماس الابن » وعن العباقرة المسرحيين الذين قرأ لهم أو شهد مسرحياتهم ، وتتلمذ عليهم فى المذهب الواقعى الذى يعرض للناس قضايا الحياة ومشكلات المجتمع ... لقد يسر الفن الواقعى وجعله أداة طيِّعة .

وإبسن أديب فنان ساخر ، مفكر عميق الفكر ، يقدِّس الفرد ويحاول تجريده من كل نقائصه ، ويهاجم المثل الزائفة التى يقدسها المجتمع وهى سبب مصائبه ، شديد الوطأة على الديمقراطية التى يحسب الناس أنها عبادة لطائفة من الزعماء الدجاجلة الذين يسخرونهم للبانات أنفسهم ، والفناء فى زعاماتهم الحمقاء المنافقة وحزبيتهم الخرساء الوصولية ، التى تفسِّر الفضائل بحسب ما تشتهى .

إن « إبسن » فى كل مسرحية من مسرحياته يعرض عليك مشكلة جديدة من مشكلات المجتمع الفاسد الذى فرَّ منه ،

وربأ بنفسه من أن يعيش فيه ؛ إنه يعرض عليك النفسيات الوضيعة التى ينطوى عليها رجال الأعمال فى عصره ، وكيف كان هؤلاء يُسخرون الشرف والمثل العليا لخدمة أنانيتهم ومصالحهم ، وستر مخازيهم وآثامهم وإلصاقها بالأبرياء بعد أن يستذلوهم ، أو بعد أن يشتروا منهم أنفسهم بالمـــال أو بشيء من حطام هذه الحياة ، كما تقرأ ذلك فى تلك الرواية .

إنه يوصيك بألا تساوم على حقك وألا تفرط فيه ، وألا تقبل الحلول الوسط ، وإلا عشت أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان ، كما كان يقول لنا زعيم عظيم من قبل .

إنه يوصى المرأة بأن تكون مخلوقاً مستقلا محترماً لها كيانها ، ولها أفكارها ، ولها رأيها فى حاضرها ومستقبلها ، وألا تكون مجرد دمية أو أداة طيعة فى يد أبيها أو دار زوجها .. وإلا جلبت الدمار على نفسها ونقضت عش زواجها .

إنه يوصى الشباب بأن يكونوا خير أداة لأنفسهم ولبلادهم وأصدقائهم ، وإذا رأوا منكراً فليغيروه بأيديهم .. ولو شهدوا بذلك على أنفسهم أو الأقربين أو الوالدين .

إنه يحذر الآباء من الحياة القذرة قبل أن يصبحوا آباء ، لأن العرق دساس ، ولأن الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون ، كما قال السيد المسيح .

إنه يحذر المرأة من أن تكون وبالا على نفسها بغطرستها

وسوء سلوكها وطموحها التافه بالظهور بين الناس والاختيال بينهم كما يختال الطاووس ، وإلا دمرت حياتها ، وخربت بيت زوجها .

وهذه أمثلة قليلة من موضوعات مسرحيات إبسن ، ونماذج من أفكاره .. وهو يسوقها كلها فى إطار جامد ، لا ينفك يوصى الناس فيه بالمحافظة على استقلالهم ، والصدور فى تفكيرهم عما يحفظ عليهم ذواتهم ، فلا يكونون إمعات تتلقى الوحى من خارج أنفسهم ، ولا يساوموا ، ولا يقفون فى منتصف الطريق ، ولا يتهاونون ... ولولا مغالاة إبسن فى هذه النزعة الفردية ، ولولا هذه الفوضى التى ينظر بها إلى شئون الحكم والمسائل الدينية وأمور الأسرة لكانت رسالته رسالة مثالية ، ولكانت فلسفته هى الفلسفة التى يجب توخيها والأخذ بها فى معترك الحياة .

وهذا إذن هو مذهب إبسن الواقعى .. وهو المذهب الذى أرسى قواعده على أفكار « كيركجارد » واستمد قضاياه من الفساد الذى كان ينخر كيان المجتمع النرويجى فى عصره .. ومن ثمة تلك المسحة المحلية فى روايات إبسن وهى مسحة إن تكن متعلقة بمكانها وموقوتة بزمانها ، إلا أن إبسن مع ذاك ، جعلها بفنه العظيم وسحر تناوله لموضوعاته قضايا عالمية للعرض فى كل زمان ومكان ... وإن اختلفت الآراء فى ذلك من حيث قضية المرأة ، ومن حيث نظام

الحكم .. وهما المشكلتان اللتان تسيران فى طريق الإصلاح والتقدم بخطى حثيثة ، حتى يوشك رأى إبسن أن يكون رأياً قديماً ، وغير ذى موضوع فيهما .

* * *

وقد ذكرنا أنه بدأ مسرحه الواقعى سنة ١٨٦٩ بملهاته السياسية : « رابطة الشباب » ... ونستطرد فنقول : إنه قفى على هــذه المسرحية بروايته « أعمدة المجتمع Samfundetts Stötter » التى ظهرت سنة ١٨٧٧ أى عندما كان إبسن فى الخمسين من عمره ؛ وهو يصل فيها حملته على المجتمع الفاسد القائم على الغش والنفاق والاستغلال الاقتصادى والخلقى ، والذى يتزعمه رجال الأعمال الذين يحصلون على ثرواتهم بطرق لولبية معوجة لا تختلف عن اللصوصية فى شئ ، والذين تغرقهم أموالهم فى بحار من الدنس والرذيلة والاستهتار بمبادئ الخلق والدين والشرف ، وهدم هذه المبادئ كلها بسلاح أموالهم تارة ، وإماتة ضمائرهم تارة أخرى ، غير ناظرين فى ذلك كله إلا إلى مصلحتهم وشهواتهم الطارئة وخبائث أنفسهم ، لا يهمهم أن ينسحق العالم ما داموا هم سالمين ، ولا أن يشقى الضعفاء والبائسون ما داموا هم فى نعيم مقيم ، ولا أن يمتصوا دماء غيرهم فيحولوها إلى ذهب لا يعرفون فيم ينفقونه ...

إن أعمدة المجتمع الذين يسخر منهم إبسن فى تلك

الرواية هم طائفة الأعيان فى المدن النرويجية الصغيرة الذين يتحكمون فى مصائر هذه المدن لسيطرتهم على شئونها الاقتصادية ونفوذهم عند الحكام ودس أنوفهم فى شئون العائلات وصلاتهم المريبة بالأهالى ، واستغلال مراكزهم فى كل صغيرة وكبيرة .

إن « كونصل برنك Consul Bernick » بطل هذه المسرحية الوغد رجل أنانى لا يعرف إلا مصلحته التى يؤثرها على كل شئ فى علاقاته بالناس .. وهو تاجر وصاحب أعمال واسعة ويشرف على شركة للنقل البحرى الذى تقوم به صنادله وزوارقه وسفنه ، وله ترسانة لإصلاح السفن التى تجوب المحيطات .. وقد أحب يوماً ممثلة جميلة هام بها غراما .. وكان يفكر فى الزواج منها بعد اتصاله بها .. لكن زيجة أخرى غنية وذات مال واسع أتيحت له فأراد أن يزيح هذه الممثلة من طريقه لكى يتم زواجه بهذه السيدة الغنية ، وقد وجد فعلا واحداً من ضحايا المجتمع الفقراء قبل أن يحل محله من تلك الممثلة فيتزوجها ، ويحمل عنه كل التبعات الناشئة من علاقته القديمة بها (!) ... ويسافر الرجل مع الممثلة إلى أمريكا .. وتمضى الأيام .. ثم نرى « برنك » رجلا وصولياً ، لا يجرى إلا وراء مصلحته ، بالرغم مما توهمه الناس من شدة ميله إلى أفعال الخير وصنائع المعروف ، وإنشاء الملاجئ والمدارس والدور الخيرية ... فهو يعارض فى مد خط للسكك الحديدية ، يربط المدينة بما يجاورها من المدن والقرى ، لأن هذا يضر

بشركته للنقل البحرى ويهبط بايراداتها ... لكنه يعود فيوافق على مد خط حديدى آخر لأن الخط سوف يخترق بعض أراضيه وضياعه الواسعة ، ومن ثمة تزداد قيمة الأرض ، وتكون فرصة ليس مثلها فرصة للربح المفاجئ ، ومضاعفة الثروة ... وبهذه الأحداث العجيبة فى حيـــاة الرجل ، وبأحداث غيرها .. يصور لنا إبسن نفسية هذا الرجل المعدود من أعمدة المجتمع فى المدينة ، بل من أهم أعمدتها .. وهو يصور لنا هذه النفسية على حقيقتها ... نفسية الرجل الذى يبدو فى أعين الناس نبيا منزهاً .. وهو فى حقيقته شيطان من الشياطين .

وبعد سنين يعود الرجل الضحية .. الرجل الفدائى الذى قبل أن يحمل عن « برنك » عاره وشناره ، ليفسح له أبواب الغنى والشرف .. يعود ومعه الممثلة .. خليلة « برنك » القديمة ... وتكون مفاجأة مذهلة « لبرنك » .. لقد نسى الناس هذه العلاقة القديمة التى لو عادت إلى الحياة الآن لانهدم كل ما بناه « برنك » من صروح الشرف والاستقامة والسمعة .. ولانهدمت الآمال الواسعة التى أقامها على رمال الخزى والتستر ، وفى ظلام الريبة والعار ... فماذا يصنع ؟ إن ألسنة الناس سياط عذاب لاترحم ... فماذا يكون الحال .. وماذا يصنع ؟

إن فى الترسانة التى يملكها « برنك » سفينة معطوبة (تحت

التصليح) فلماذا لا تخرج إلى البحر حاملة هذا العدد من المسافرين الذين يتعجلون السفر إلى أمريكا ، وليركب معهم هذا الصديق الفدائى الذى تزوج الممثلة .. الخليلة القديمة .. ولن تستطيع السفينة أن تثبت للأمواج العاتية والعواصف الهوج فى المحيط الأطلنطى الجبار الذى لايرحم .. وهى غارقة لاشك . وحينما تغرق سوف يغرق معها كل هذا الماضى المخزى المظلم ، بغرق الصديق وغرق الممثلة ...

فكرة حسنة لا يمكن أن يدبرها إلا شيطان ...

ويعارض رئيس الترسانة فى خروج السفينة لكن معارضته تذهب هباء أمام إصرار « برنلك » ... فيتقرر خروجها .. والسلام .. !

ثم تجئ الأخبار بأن الطفل الصغير ابن « برنلك » الوحيد ، قد ركب هذه السفينة الملعونة ، بعد أن أغراه بعضهم بركوبها لزيارة أمريكا بلد العجائب ، فيجن جنون « برنلك ».. ويعمل كل ما فى وسعه لإعادة السفينة إلى الميناء ، قبل أن يحيق بها المكر السيئ الذى مكره « برنلك » فيفقده فلذة كبده ..

ثم يأتيه البشير بأن السفينة لم تبحر بعد ... فيحمد الله ... ويستيقظ ضميره من خلال العاصفة العاتية التى مرت به فزلزلت كيانه ... وعرف بعدها أنه هذا الرجل المنافق المخاتل المخادع ... بل القاتل السفاح ...

إنه يقتنع بذلك كله بعد أن تقنعه « لونا » .. الحبيبة

الفدائية .. بألا يقيم سعادته وسعادة ابنه بخاصة على أكاذيب .. على سرقات ، ومال مختلس وعدد من الرزايا التى أصاب بها المجتمع ، وأصاب بها الأبرياء والمظلومين ممن يحيطون به ، وإلا فلسوف يأتى اليوم الذى يظهر فيه الحق وتنهار تلك السعادة الزائفة .

إنه يعترف بذلك كله على ملأ من أهل المدينة جاءوا لكى يحيوه ويشكروه على ما قدم لمدينتهم من صنائع المعروف .. ويكون « برنك » لا يزال فى قمة أزمته النفسية ، وصحوة ضميره مما مر به من هول تلك التجربة ، فلا يملك إلا أن يقف فى هذا الجمهور ليعترف بخطاياه .. خطاياه كلها ...

وهنا تقف « لونا » لترد على ما قاله « برنك » من أن النساء الطيبات — وليس الرجال الأشرار مثله — هن أعمدة المجتمع ، فتقول « لونا » : بل أعمدة المجتمع الحقيقية هى روح الحرية ، وروح الصدق .. يعنى أن المجتمع النظيف الحق لا يقوم إلا على الحرية الخالصة والصدق المحض الخالى من الغش والخداع والنفاق ، ومن الرذائل كلها .

ونلاحظ هنا صداقة « إبسن » للمرأة التى كان يجلها دائماً ويدافع عنها باستمرار ، ويؤمن بأنها منبع جميع الفضائل التى تعم الإنسانية بالبركات ، والصدر الرحب الذى يلجأ إليه الرجل يلتمس فيه الدفء والأمن وينقذه وقت الضيق .

وهذه خلاصة تلك المسرحية التى آثرنا ضغطها ضغطاً

شديداً ، حتى لاتفقد قراءتها شيئاً من بهجتها فى نفس القارئ ..
ومعظم مؤرخى « إبسن » متفقون على أن أعمدة المجتمع هى الحلقة الأولى فى مجموعة مسرحياته الاجتماعية الاثنتى عشرة التى وضعت « إبسن » فى صفوف الخالدين ، وفى مقدمة الصف الأول منهم جميعاً . وهم متفقون أيضاً على أن هذه المسرحيات الاجتماعية الاثنتى عشرة متفقة كلها فى الغرض الذى يهدف إليه « إبسن » وهو محاربة رذائل المجتمع ، وإقامة مجتمع جديد على أسس أخلاقية جديدة ، كما تتفق فى طريقة التناول والعرض المسرحى ، وفى الموضوع العام ؛ وإن اختلفت فى الفكرة والمشكلة الاجتماعية ... إنها جميعاً – تقريباً – مسرحيات عائلية لكن النزعة الفردية غالبة عليها ... ذلك أنك تجد فرداً أو فردين أو أكثر من ذلك يتحكمون فى موضوع كل مسرحية ، ويجهدون فى أن يغلبوا نزعاتهم وأفكارهم ومبادئهم على تيارها العام ... وتمتاز أعمدة المجتمع من بين هذه المسرحيات كلها باهتداء بطلها إلى جادة الصواب وسبيل الخير فى آخر الرواية ، وهى ميزة لا نجدها فى أية مسرحية أخرى من مسرحيات « إبسن » .. ويقول نقاد « إبسن » إن هذه ميزة تضعف المسرحية ولا تكسبها شيئاً .. فلو أن بطل المسرحية .. لو أن « بزنك » .. لقى جزاءه بغرق ابنه وضياع ثروته ، ولقى الفضيحة والتشهير وهو حى لكان الموضوع أقوى من الوجهة الدرامية ، أى كان أقوى تأثيراً فى النفس ،

وأجدى على المتفرج ، وأبلغ أثراً فى نفس القارئ . وهكذا كان يفعل كبار الكتاب المسرحيين ، بل هكذا بدأ يفعل « إبسن » نفسه فيما كتب بعد أعمـــدة المجتمع .

والنقاد فى هذا — فى رأيى — على حق .

* * *

وفى سنة ١٨٧٩ يصدر « إبسن » آيته الكبرى « بيت دمية » وهى الرواية التى يعرض فيها قضية المرأة ومطالبتها بالمساواة فى الحقوق مع الرجل على قدم الند للند .

وفى سنة ١٨٨١ يصدر مسرحيته « أشباح » التى يخصصها لأمراض الوراثة الفتاكة ، وجناية الآباء على الأبناء بانحرافهم قبل الزواج .

وفى سنة ١٨٨٢ يصدر « عدو الشعب » التى يندد فيها بمسلك الزعماء الشعبيين فى رعاية مصالح مدينتهم ومقاومتهم لهذا الطبيب المخلص الذى نصح باغلاق حمامات المدينة ومصدر رزقها ، حتى يتم تطهيرها فلم يبال به هؤلاء الزعماء ، وأظهروه فى أعين أهل البلدة بمظهر الرجل المعتوه الذى يستحق الرجم .

وفى سنة ١٨٨٤ يصدر أروع مسرحياته من الوجهة الفنية وهى « البطة البرية » والتى تشبه كثيراً أعمدة المجتمع فى موضوعها ، والتى تشتمل على بطل يكتشف جريمة أبيه الذى

ألصقها بأحد أصدقاء البطل ، فلا يزال بصاحبه حتى يفتح عينيه على ما فعله أبوه من جرائم ..

ويستمر « إبسن » فى إنتاجه المسرحى العظيم حتى يكمل مسرحياته الاجتماعية الاثنتى عشرة التى تغزو مسارح العالم جميعاً والتى تجعل الغلبة للمذهب الواقعى على جميع المذاهب الأخرى ..

ويتتلمذ على « إبسن » معظم الكتاب المسرحيين الذين ظهروا فى أواخر القرن التاسع عشر وجميع من ظهر منهم فى القرن العشرين ؛ ويعرفون منه أن المذهب الواقعى ليس هو أن تنقل الحياة الواقعية برمتها على خشبة المسرح ، ولكن أن تنقل جوهر هذه الحياة وزبدة مشكلاتها على المنصة ؛ نقلا فنياً مهذباً لهدف مقصود ... وحسب « إبسن » أن يكون من تلاميذه « جورج برنرد شو » الذى يعد مكملا « لإبسن » ، وحامل رايته من بعده ... وإن كان مثل « إبسن » يطيل الحوار ويكثر من الكلام ويقلل من الفعل Action .

ومما ينبغى ألا يفوتنا هنا أن ننوه بأن « إبسن » لم يستطع أبداً أن يتحرر من المذهب الرومنسى تحرراً كاملا ، كما أنه كان يجعل للمذهب الرمزى نصيباً فى كل من مسرحياته الواقعية بلا استثناء .

واستطاع « إبسن » قبل أن يودع هذا العالم سنة ١٩٠٦ ،

أن يوائم بين الأدب وبين مقتضيات العصر الصناعى الحديث، وأن يصور الصراع الناشب بين الفرد وبين مجتمعه وبيئته، وبين حقائق الحياة وبين أوهامها وباطلها، وبين المثل الحقة والزيف الكاذب ... وكان قليـــل الثقة بأنظمة عصره السياسية والاجتماعية والتعليمية على السواء، ومن هنا يتهمه بعض نقاده بأنه كان كاتباً متشائماً، ولست أدرى كيف يكون كذلك وهو الرجل الذى أظهرنا على معايب عصره ليضع الناس حضارة حديثة تعلو فيها حرية الفرد، وتتلافى هذه العيوب التى هاجمها بشدة فى كل ما كتب .

لقل ظل « إبسن » يتنقل من رومة إلى « درسدن » إلى « ميونخ » حتى سنة ١٨٩١ حين عاد ليقيم فى بلاده نهائيا، وليشهد عبادة مواطنيه له، ولا نقول حبهم، وليرى العالم كله يترجم مسرحياته ويقرأها ويمثلها ويلتذها، وتترك أثرها فيه ..

إن الناس لا يكادون يعرفون النرويج اليوم بقدر ما يعرفون « إبسن » .

* * *

وبعد، فهل لايزال « إبسن » صالحاً للعرض على المسارح الحديثة ؟، ولم لا ؟ إنه يعرض أفكاراً ومشكلات . . وليس

يعرض حركات آلية ومناظر تأخذ باللب ، كما كان يصنع « ساردا و » .

فلندرس « إبسن » ولنصبر له ولنتتلمذ عليه فى أول نهضتنا المسرحية كما صنعت سائر الأمم .. ولنقبس عنه صراعه بين الأفكار إذا أردنا أن نرتفع فوق التهريج والوصولية .

دريني خشبه

أشخاص المسرحية

كارستن برنك : مدير شركة ملاحية وقنصل
بيتي برنك : زوجته
أولاف : إبنهما ، فى الثالثة عشرة من عمره
مارتا برنك : شقيقة كارستن
يوهان تونسن : شقيق بيتي برنك الأصغر
لونا هسل : أختها الكبرى غير الشقيقة
هيلمار تونسن : ابن عمها
رورلاند : مدرس فى المدرسة الحكوميه ومن رجال الدين
رومل : تاجر جملة
فيجلاند : تاجر
ساندستاد : تاجر
دينا دورف : فتاة تعيش مع أسرة برنك
كراب : رئيس الكتبة لدى كارستن برنك
أون : عامل فى صناعة السفن
مسز رومل
مسز هولت : زوجة مدير مكتب البريد
مسز لينج : زوجة الطبيب
هيلدا رومل : ابنة مسز رومل
نيتا هولت : ابنة مسز هولت

أفراد من سكان المدينة وغيرهم من المقيمين بها وبحارة أجانب وركاب السفن البخارية ومن اليهم .

تقع الحوادث فى منزل برنك فى إحدى مدن النرويج الساحلية الصغيرة .

منظر الفصل الأول

حجرة كبيرة مطلة على حديقة فى منزل برنك ، باب يوصل إلى حجرة برنك فى الجزء الأمامى من المسرح إلى اليسار ، ومن خلفه باب آخر مماثل يفتح فى نفس الجدار ، وفى وسط الجدار المقابل باب أكبر يوصل إلى حجرة الانتظار ، أما الجدار الخلفى فهو كله تقريبا من الزجاج وبه باب مفتوح يوصل إلى درج عريضة تؤدى إلى الحديقة وفوق الدرج مظلة وفى أسفله يرى جزء من الحديقة يحيط به سور له بوابة صغيرة ، وخارج السور طريق يمتد بطوله ، يتكون الجانب الآخر منه ، من منازل خشبية زاهية الألوان . والوقت صيف والشمس دافئة . . .

ويرى بعض الناس غادين رائحين فى الطريق من وقت لآخر ، يقفون ويتحدثون ويشترون شيئاً من حانوت صغير فى ركن من الطريق ، إلى غير ذلك . وفى الحجرة الكبيرة المطلة على الحديقة تجلس بعض السيدات حول منضدة فى الوسط ، فتجلس مسز برنك مواجهة للنظارة وعن يسارها مسز هولت ومعها ابنتها ، ثم مسز رومل وابنتها الآنسة رومل . وعن يمين مسز برنك تجلس مسز لينج والآنسة برنك ودينا دورف .

والنساء جميعهن دائبات على أشغال الإبرة ، وعلى المنضدة أكوام من الأقمشة التيلية ، مفصلة ولم تتم حياكتها بعد ، ومعها بعض الملابس الأخرى . وفى الخلف يجلس المدرس رورلاند إلى منضدة صغيرة عليها أصيصان وقدح به ماء محلى بالسكر . يقرأ رورلاند من كتاب مذهب الجوانب بصوت مسموع ولكن النظارة لا يسمعون إلا كلمة أو كلمتين مما يقرأ .

وفى الحديقة يجرى أولاف برنك ببندقية صيد صغيرة للأولاد ويطلقها على عدة أشياء .

وفى هذه الآونة يدخل أون أحد عمال السفن بهدوء من الباب الذى إلى اليمين . يتوقف رولاند عن القراءة لحظة ، وتومئ السيدة برنك إليه وتشير إلى الباب الواقع إلى جهة اليسار .

يقطع أون المسرح بهدوء ويطرق بخفة باب السيد برنك طرقة أو طرقتين بينهما فترة من الوقت . يخرج كراب ، رئيس الكتبة ، من الحجرة وقبعته فى يده وهو يتأبط بعض الأوراق .

الفصل الأول

كراب : آه أ أنت الذى تطرق الباب ؟

أون : لقد طلبنى مستر برنك .

كراب : فعلا . ولكنه لا يستطيع مقابلتك . فلقد كلفنى أن أخبرك ...

أون : أنت ؟ الواقع أننى أفضّل ...

كراب : أمرنى أن أخبرك بالآتى : « عليك أن تمتنع عن أحاديثك للعمال فى أيام السبت »

أون : أيجب علىّ ذلك ؟ لقد كنت أظن أنه يمكننى أن أستفيد بوقت فراغى ...

كراب : لا يمكنك أن تستفيد بوقت فراغك فى تعطيل العمال عن العمل ، فأنت ، يوم السبت الماضى ، كنت تحدّث العمال عن الضرر الذى يصيبهم إذا ما نحن استخدمنا الآلات والأساليب الجديدة فى صناعة السفن ، فما الذى دفعك إلى هذا ؟

أون : إننى أفعله لمصلحة المجتمع .

كراب : غريب هذا ! إن الرئيس المستر برنك يقول : إنك تهدم المجتمع .

أون : إن مجتمعى يا سيدى كراب يختلف عن مجتمع

المستر برنك فأنا بوصفى رئيساً لاتحاد العمال يجب علىّ ...

كراب : أنت أولا وقبل كل شئ : رئيس حوض سفن عند السيد برنك . وواجبك — أولا وقبل كل شئ — هو أن يكون ولاؤك نحو المجتمع المعروف باسم السيد برنك وشركاه ، فمن هذا المجتمع نأكل العيش ، والآن لعلك تعرف ما كان سيقوله لك الرئيس .

أون : أجل ، مع فارق فى الأسلوب ، ولكننى أستطيع أن أحزر الدافع لذلك . إنه حطام السفينــة الأمريكية اللعينة . إن الأمريكان يريدون منا أن نصلحها على طريقتهم التى اعتادوها عليها . وهذا ...

كراب : حسن ، حسن ، لا أودّ أن ندخــل فى التفاصيل ، ولعلك تعرف الآن رغبة الرئيس وحسبك هذا ، تفضل الآن إلى حوض السفن ، فأكبر الظن أنهم يحتاجون إليك ، وسألحق بك بعد قليل ، معذرة سيداتى .

(ينحنى ، ويخرج من الحديقة إلى الشارع).

(ويخرج أون بهدوء من اليمين . أما رورلاند الذى كان يقرأ بصوت خفيض أثناء المحادثة ، فيطوى

الكتاب بقوة) .

رورلاند : وهكذا تنتهى القصة ، أيتها المستمعات العزيزات .

مسز رومل : يا لها من قصة نافعة !

مسز هولت : وذات مغزى جميل !

مسز برنك : إن كتاباً كهذا يجعلنا نفكر كثيراً .

رورلاند : أوه فعلاً ، إنه على نقيض هذه التفاهات التى نقرؤها لسوء حظنا كل يوم فى صحفنا ومجلاتنا الأسبوعية ، وهذه الدعايات المزخرفة التى تعلنها الشعوب الكبيرة ، ماذا تخفى من مواقفها ؟

كل ماهو أجوف فاسد، إذا ما أجيز لى أن أعبر عنه هذا التعبير : ما من دعامة أخلاقية تعتمد عليها ، وقصارى القول أن هذه المجتمعات الكبيرة لا تعدوا أن تكون مقابر مزينة !

مسز هولت : فعلا لاشك فى هذا .

مسز رومل : ولماذا نذهب بعيداً ، انظروا إلى بحارة السفينة الأمريكية التى يصلحونها .

رورلاند : هيه ! لاداعى لأن نتحدث عن أمثال هؤلاء الدهماء من بنى الإنسان ، بل لننظر إلى المجتمعات الراقية ؛ ماحالهم ؟ الشك والضجر فى كل مكان

لاسلام ولا اطمئنان ؛ لا فى عقول الناس ولا فى علاقاتهم بعضهم ببعض . الحياة العائلية هناك مقوضة الدعائم ، ألا ما أشد ما حدث فى هذه الحياة من انقلاب ، إنهم يتحدون أعظم الحقائق قدسية .

دينا : (دون أن ترفع نظرها) ولكن هناك أعمالا عظيمة أيضاً ، أليس كذلك ؟

رورلاند : أعمالا عظيمة ؟ إننى لا أفهم ...

مسز هولت : (فى دهشة) ولكن — يا إلهى — دينا !

مسز رومل : (فى الوقت نفسه) ولكن — دينا — كيف تجرئين ... ؟

رورلاند : لا أظن أن من الخير لنا أن تحدث تلك الأعمال هنا ، لا ، يجب أن نحمد الله على أننا هنا بالحال التى نحن عليها . صحيح قد تثبت الأعشاب الضارة من وقت إلى آخر بين عيدان القمح ، وهذا ما يؤسف له ، غير أننا لا ندخر وسعاً فى قلعها بقدر المستطاع . إن مهمتنا — أيتها السيدات — هى الاحتفاظ بمجتمعنا طاهراً نقياً ، وأن نبعد هذه النزعة التجريبية التى يريد عصرنا المتسرع أن يفرضها علينا .

مسز هولت : وما أكثر نزعات هذا العصر لسوء الحظ !

مسز رومل : فى العام المـــاضى لم تنج المدينة من أن تمد فيها سكة حديدية إلا بأعجوبة .

مسز برنلك : لقد تمكن زوجى كارستن من منعه .

رورلاند : إنها العناية الإلهية يا مسز برنلك ، ولم يكن زوجك إلا أداة لتنفيذ مشيئة تلك العناية الكبرى حين أبى أن تكون له يد فى هذا المشروع .

مسز برنلك : ومع هذا لم ينج من مهاجمة الصحف التى أساءت إليه كثيراً ، ولكننا نسينا أن نشكر لك هذا الوقت الجميل الذى أمضيته معنا الآن.

رورلاند : لا . لا . إننا فى وقت العطلة المدرسية .

مسز برنلك : مهما يكن من شىء فإنها على حال تضحية من جانبك يا سيدى رولاند .

رورلاند : (يقترب بكرسيه نحوها) عفواً ياسيدتى العزيزة ، ألاتقوم كل واحدة منكن بتضحية فى سبيل قضية عادلة ؟ ألا تقدمنها راضيات مسرورات ؟ إن أخواتنا الساقطات اللائى نعمل جميعاً فى سبيل خيرهن يجب أن ننظر إليهن كأنهن جنود جرحى فى الميدان . وأنتن سيداتى ، فرقة الإسعاف كتيبة الصليب الأحمر التى تعد الشاش الأبيض لهؤلاء الضحـــايا

البائسات ، وتقوم بعلاجهن ، وتضميد جروحهن بحنان حتى تلتئم .

مسز برنك : يالها من نعمة عظيمة أن يستطيع المرء النظر إلى كل شئ على هذا النحو الجميل .

رورلاند : إن الكثير منه يأتي بالفطرة ، ولكن كثيراً منه أيضاً يمكن أن يكتسب . والمهم هو أن ينظر الإنسان إلى الأشياء نظرة جدية . وماذا تقولين الآن يا آنسة برنك ؟ ألا تلاحظين أنك بعد قيامك بالتدريس — كأنك تقفين على أساس أمتن ؟

مسز برنك : الواقع ، أنى لا أعرف كيف أجيب عن هذا السؤال ! فكثيراً ما تمنيت وأنا بين جدران المدرسة أن أكون بعيدة ، فوق متن البحر الهائج العاصف .

رورلاند : نعم ياعزيزتى مسز برنك ، كلنا تجتاحه عواصف من الإغراء ، ولكن علينا أن نوصد الباب فى وجه هؤلاء الزائرين المزعجين : لبحر الهائج العاصف ! إنك لا تقصدين هذا اللفظ بمعناه الحرفى بطبيعة الحال ، بل تقصدين عالم الإنسانية العظيم المضطرب ، وما فيه من خلائق كثيرة محطمة ، وأنت لا تعلقين كبير الأمل على ما فيه من حياة صاخبة مزعجة متدافعة ، وما عليك إلا أن تنظرى فى الشارع ،

انظرى إلى الناس يسيرون والشمس تشوى جلودهم ، والعرق يتساقط منهم ، وهم يتصارعون من أجل التوافه .

آه ... لا .. نحن بلا شك أسعد حظاً منهم نحن الذين نجلس فى هذا الظل الظليل ، ونديرظهورنا للمشكلات والهموم .

مسز برنك : حقاً إنك بطبيعة الحال محق كل الحق فيما تقول ، وأنا واثقة ...

رورلاند : وفى منزل صالح طاهر كهذا ، حيث الحياة العائلية تبدو فى أجمل مظاهرها يسودها التوافق والانسجام والسلام .

(مخاطباً مسز برنك) ما الذى تنصتين إليه يا مسز برنك ؟

مسز برنك : (متجهة نحو الباب البعيد الذى إلى اليسار) لقد أخذت أصواتهم تعلو ! لا أدرى ؛ إنى أسمع صوت شخص يعلو علواً كبيراً هناك .

رورلاند : أهناك أمر خاص ؟

مسز برنك : لا أدرى ، إننى أسمع صوت إنسان هناك مع زوجى .

هيلمار : (هيلمار تونسن يدخل من الباب الذى فى الجهة اليمنى وفى فمه سيجار لفافة . ولكنه سرعان

ما يقف عند رؤية هذا العدد من النساء)
أوه .. أوه .. أرجو المعذرة (ثم يهم بالتراجع).

مسز برنك : كلا يا هيلمار .. أقبل .. أقبل إنك لا تسبب لنا أي انزعاج .. هل كنت تريد شيئاً ؟

هيلمار : أبداً ، قلت فى نفسى أذهب لزيارتهم
صباح الخير يا سيداتى (مخاطباً مسز برنك)
الآن علام أسفرت النتيجة ؟

مسز برنك : نتيجة ماذا ؟

هيلمار : المؤتمر ألا تعرفين ؟ لقد دعا كارتسن إلى عقد مؤتمر .

مسز برنك : أحق هذا ؟ ولكن ليبحث أى موضوع بنوع خاص ؟

هيلمار : آه ! إنها مسألة سقيمة .. إنها مسألة مشروع السكة الحديدية مرة أخرى .

مسز رومل : لا ، إن ذلك الأمر غير معقول ، لا يمكن أن يكون .

مسز برنك : مسكين كارتسن ، ألا تزال المتاعب تنتابه ؟

رورلاند : إن ما تفعله غير معقول يا مستر هيلمار تونسن.
ذلك أن المستر برنك أفهمنا فى صراحة فى العام الماضى أنه لن تكون فى البلاد سكة حديدية .

هيلمار : نعم ، أنا مثلك . كنت أظن ذلك ، ولكنى قابلت رئيس الكتاب كراب فأخبرنى أن مسألة السكة الحديدية قامت مرة أخرى ، وأن برنك يعقد اجتماعاً لثلاثة من رجالنا الرأسماليين .

مسز رومل : هذا ما توقعته ، لأنى قد سمعت صوت زوجى.

هيلمار : نعم . إن المستر رومل أحدهم بطبيعة الحال . وثانيهم المستر ساندستاد الذى يزكى المشروع ، وثالثهم ميشيل فيجلاند ، أو (الملك ميخائيل) كما يسمونه .

رورلاند : أوه .

هيلمار : أرجو المعذرة يا مستر رورلاند .

مسز برنك : ونحن الذين بدأنا نعيش فى هدوء وسلام .

هيلمار : حسناً . أما من ناحيتى أنا . فلا مانع عندى من مناقشة ذلك الموضوع معهم ، فهو على الأقل يرفه عنى .

رورلاند : أظن أننا يمكننا الاستغناء عن هـــذا اللون من الترفيه .

هيلمار : إن ذلك يتوقف على تكوين الناس . فتكوين بعضهم يحتم نشوب معارك من حين إلى حين ؛ ولكن الحياة فى المدن الصغيرة لا تسمح بكثير من مثل هذا . ومما يزيد الطين بلة (وهو

يقلب صفحات كتاب رورلاند) « إن المرأة بوصفها خادمـــة للمجتمع » أى نوع من الهراء هذا ؟

مسز برنك : إيه يا هيلمار ، ما هذا الكلام ؟ لا شك أنك لم تقرأ هذا الكتاب بعد .

هيلمار : لا ، وليس فى نيتى أن أقرأه .

مسز برنك : لا يمكن أن تكون فى حالتك الطبيعية اليوم .

هيلمار : لا . لست كذلك .

مسز برنك : ألم تنم نوماً هادئاً فى الليلة البارحة ؟

هيلمار : نعم ، كان نوماً سيئاً ، لقد تنزهت مشياً على قدمى ليلة أمس لأننى كنت متوعكاً ، ثم ذهبت إلى النادى ، وقرأت تقريراً عن بعثة إلى القطب الشمالى ، إن تتبع أعمال الناس فى صراعهم مع الطبيعة يثير المشاعر .

مسز رومل : ولكن يظهر أن هذا لم يفدك كثيراً .

هيلمار : فعلا . لقد أساء إلىّ بلا ريب فقد ظللت أتقلب طول الليل بين النوم واليقظة وأنا أحلم بأن حصان البحر الرهيب يجرى من ورائى .

أولاف : (يدخل من الشرفة) خالى ! هل كان حصان البحر يجرى وراءك ؟

هيلمار : لقد كان مجرد حلم أيها الأحمق الصغير ،

أما زلت تلهو بهذه اللعبة السخيفة ؟ لم لا تحمل بندقية حقيقية ؟

أولاف : كنت أتمنى هذا ، لكن ...

هيلمار : عندما تحمل بندقية حقيقية تشعر بوجود هدف معين ؛ إن إطلاق النار شيء مثير على الدوام .

أولاف : عندئذ أصيد الدببة يا خالى ، ولكنى لا أستطيع أن أقنع والدى بأن يسمح لى بهذا .

مسز برنك : الحق أنه يجب عليك ألا تدخل هذه الأشياء فى عقله يا هيلمار .

هيلمار : إيه ، أى جيل جديد هذا . نسمع جعجعة ؛ ولا نرى طحناً ، إنما هو لعب فى لعب . أما من رغبه حقيقية لمواجهة المخاطر ؟ أين الرجولة ؟ لا تقف هكذا أيها الإبن الأبله ؛ موجهاً بندقيتك إلىّ ، فقد تنطلق .

أولاف : خالى ، إنها غير محشوة .

هيلمار : ومن أدراك ؟ ربما كانت ! أبعدها عنى إلى آمرك . لماذا بحق السماء لم تذهب إلى أمريكا على إحدى سفن أبيك ؟ لو أنك ذهبت لكان من الجائز أن تشاهد اصطياد الجاموس أو إحدى المعارك مع الهنود الحمر .

مسز برنك : إيه . يا هيلمار ، ولكن ...

أولاف : إنى أتمنى ذلك يا خالى ، وإذن فلربما قابلت خالى يوهان وخالتى لونا .

هيلمار : كلام فارغ ، هراء .

مسز برنلك : تستطيع أن تذهب إلى الحديقة الآن يا أولاف .

أولاف : وإلى الشارع أيضاً يا أماه ؟

مسز برنلك : نعم ، ولكن حذار أن تبتعد كثيراً (يجرى إلى الشارع مجتازاً الباب)

رورلاند : يجب عليك يا مستر تونسن ، ألا تدخل هذه الأفكار فى عقل الصبى .

هيلمار : لا . طبعاً لا ، يجب أن يصبح ممن يلازمون البيت كغيره من الناس .

رورلاند : ولماذا لا تذهب أنت إلى هناك ؟

هيلمار : أنا ؟ وهذه صحتى ، ولكن هل من أحد يعنى بذلك هنا ؟ .. يجب أن يبقى واحد هنا ، مهما يكن من أمر ، ليرفع راية المثالية عالية . أوه .. لقد عاد ثانية إلى الصياح .

النساء : من الذى يصيح ؟

هيلمار : أوه ، لا أدرى ، إنهم يتحدثون بصوت عال ، وذلك يحطم أعصابى .

مسز رومل : أكبر الظن أن ذلك زوجى يامستر تونسن ، وأنت

تعرف أنه قد اعتاد أن يتحدث فى الجماعات الكبيرة .

رورلاند : والآخرون أيضاً لايبدو أنهم يتحدثون فى همس .

هيلمار : بالطبع لا .. يا إلهى عفوك ، إن الموضوع سرعان ما يتحول إلى معركة حول المال ، لماذا ؟ إن كل شيء هنا يدور حول التوافه المادية .

مسز برنك : وعلى أية حال إن ذلك أحسن من ذى قبل ، عندما كان كل شيء يدور حول الملذات .

مسز لينى : أكانت الحالة سيئة عن هذا النحو حقًّا قبل الآن؟

مسز روملِ : لقد كانت سيئة بلا ريب يا مسز لينى ، وإن من حسن حظك أنك لم تكونى تعيشين هنا فى تلك الأيام .

مسز هولت : فعلا ، لقد تغيرت الحال كثيراً عما سبق ، فعندما أعود بذكراتى إلى أيام صباى ...

مسز روملِ : يكفى أن تعودى إلى أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة ، فليغفر لى الله . ماذا يحدث هنا ؟ لقد كان فى هذا البلد ناد للموسيقى وآخر للرقص ..

مسز برنك : وناد للتمثيل أيضاً ، إننى أذكر ذلك جيداً .

مسز روملِ : أجل ، ولقد مثلت هنا روايتك يا مستر هيلمار تونسن .

هيلمار : (فى أعلى المسرح) تلك . تلك .

رورلاند : مسرحية المستر هيلمار تونسن ، التى كتبها عندما كان طالباً .

مسز رومل : نعم ، كان ذلك قبل حضورك إلى هنا بكثير يا مستر رورلاند ، ولم تمثل إلا مرة واحدة .

مسز لينى : ألم تكن هى المسرحية التى مثلت فيها دور البطلة يا مسز رومل ؟

مسز رومل : (وهى تنظر إلى رورلاند) أنا ؟ الواقع أننى لا أذكر هذا يا مسز لينى . ولكننى أتذكر الحياة الاجتماعية المرحة ، التى كانت تجرى فى هذا المكان .

مسز هولت : نعم .. إننى أتذكر أن بعض الأسر كانت تقيم وليمتين عظيمتين كل أسبوع .

مسز لينى : بل كانت هنا أيضاً فرقة مسرحية — كما سمعت — حلت هنا فى رحلة لها .

مسز رومل : نعم .. لقد كانت هذه أسوأ شىء . والآن .

مسز هولت : (فى قلق) هم .. دم !

مسز رومل : آه .. فرقة مسرحية ؟ إننى لا أذكر ذلك مطلقاً .

مسز لينى : لقد سمعت أنهم أتوا كل الفضائح ، فألى أى حد تعتقدين أن هذه القصص صحيحة ؟

مسز رومل : آه ، لا شىء فيها مطلقاً ، يا مسز لينى .

مسز هولت : دينا. أعطيني هذه القطعة من التيل يا عزيزى.

مسز برنك : (فى الوقت نفسه) دينا يا حبيبتى ، اذهبى واطلبى إلى كاترين أن تحضر القهوة إذا سمحت .

الآنسة برنك: سأذهب معك يا دينا . (تخرجان من الباب الأعلى الذى إلى اليسار) .

مسز برنك : (تهم واقفة) وإذا سمحتم لى بالتغيب لحظة وجيزة، يا أصدقائى ، فإنى أظن أننا سنشرب قهوتنا فى الخارج . (تخرج إلى الشرفة وتعد الخوان ويقف رورلاند عند الباب يتحدث إليها بينما يجلس هيلمار فى الخارج يدخن) .

مسز رومل : (بصوت خافت) رباه ، لقد ملأتنى رعباً يا مسز لينى !

مسز لينى : أنا ؟

مسز هولت : أجل ، يا مسز رومل ، إنك تعرفين أنك كنت البادئة .

مسز رومل : أنا ؟ كيف تقولين ذلك يا مسز هولت ! إن شفتىّ لم تنفرجا عن كلمة واحدة .

مسز لينى : ولكن عن أى شىء تتحدثان ؟

مسز رومل: كيف يمكنك أن تبدئى الحديث عنه ؟ فكرى قليلا ، ألم تلاحظى وجود دينا ؟

مسز لينى : دينا ! لكن خبريني بالله ، هل ثمة شيء يحس ؟
مسز هولت : وفى هذا المنزل أيضاً ؟ ألا تعلمين أنه كان أخاً لمستر برنك ... ؟
مسز لينى : ماذا حدث له ؟ إننى لا أعرف عن ذلك شيئاً ما . فأنا حديثة العهد بهذا البلد .
مسز رومل : (مخاطبة ابنتها) ألم تسمعى إذن أنه يمكنك أن تذهبي إلى الحديقة لحظة يا عزيزتى هيلدا .
مسز هولت : وأنت كذلك يا نيتا ، وكونى لطيفة مع دينا عندما تعود إلى هنا (تخرج مس رومل ومس هولت إلى الحديقة) .
مسز لينى : والآن ماذا حدث لأخى المسز برنك .
مسز رومل : ألم تعرفى أنه هو الذى سبب هذه الفضيحة المروّعة !
مسز لينى : ماذا ؟ أهيلمار تونسن سبب فضيحة شنيعة ؟
مسز رومل : لا . لا . رباه . إن صديقنا مستر هيلمار تونْسن ابن عمها . ابن عم مسز لينى ، أما الذى أتحدث عنه ، فهو أخوها .
مسز هولت : المعروف باسم تونسن ، الذى لا يفعل إلاّ كلّ قبيح .
مسز رومل : كان اسمه يوهان ، وقد هرب إلى أمريكا .
مسز هولت : كان مضطراً للهروب ، كما تعرفين .

مسز ليني : إذن فهو سبب هذه الفضيحة المخجلة ؟
مسز رومل : نعم – لقد كان نوعاً من .. أوه .. كيف أسميها ؟ إنها تتعلق بأم دينا ، آه إنني أذكر ذلك كأنه حدث اليوم ، في هذا اليوم . وقد كان يوهان تونسن يشتغل في إدارة أعمال أم المستر برنك . وذلك عند عودة المستر برنك من باريس . ولم يكن بعد قد تزوج .
مسز ليني : أجل ، ولكن ما هي الفضيحة ؟
مسز رومل : سأخبرك ، في ذلك الشتاء كانت فرقة مولار المسرحية قد حضرت إلى هنا .
مسز هولت : وكان من أعضاء الفرقة ممثل اسمه دورف وزوجته الحسناء التي خلبت جميع الشبان .
مسز رومل : أما كيف اعتبروها جذابة ، فذلك مما يعرفه الله . ومرة عاد ذلك الممثل دورف إلى منزله متأخراً ليلا .
مسز هولت : ولم يكن أحد يتوقع عودته
مسز رومل : ثم يجد – لا ! لا يمكنني في الواقع أن أستمر ..
مسز هولت : في الواقع أنه لم يجد شيئاً يا مستر رومل ، لأن الباب كان مغلقاً من الداخل
مسز رومل : فعلا ، هذا ما كنت أقوله بعينه ، لقد وجد الباب مغلقاً ، ثم تصوري أن الرجل الذي

كان داخل المنزل اضطر إلى أن يقفز من النافذة

مسز هولت : من أعلى غرفة فى المنزل !

مسز ليني : وكان ذلك الرجل أخا مسز برنلك .

مسز برنلك : هو بعينه بلا شك .

مسز ليني : وهل من أجل ذلك هرب إلى أمريكا ؟

مسز هولت : يمكنك أن تتصورى أنه اضطر إلى ذلك اضطراراً .

مسز رومل : ذلك لأنه فيما بعد ظهر شيء لا يقل عن هذه الفعلة شـــناعة . تصورى أنه سرق أموال أم المستر برنلك !

مستر هولت: ولكننا لا نعرف هذا على وجه اليقين يامسز رومل . فربما كانت هذه مجرد إشاعة .

مسزرومل : لكن ألم يسمع بهذا كل أهل المدينة ؟ ألم تكن والدة المستر برنلك على أبواب الإفلاس لهذا السبب ؟ لقد سمعت هـــذا من زوجى نفسه ، وطبعاً أنا لاأحب أن ...

مسز هولت ؛ حسناً ، على أية حال فإن ذلك المال لم يذهب إلى مسز دورف لأنها ..

مسز ليني ؛ نعم ، وماذا تم لوالدى لينا بعد ذلك ؟

مسز رومل : لقد رحل دروف ، وترك زوجته وطفلته ، ولكن تلك السيدة بلغت من الصفاقة درجة

استساغت معها أن تعيش هنا سنة كاملة
غير أنها لم تجروٴ على أن تظهر فى المسرح
بعد ذلك ، بل كانت تكسب قوتهـــا من أعمال الغسيل
والحياكة ...

مسز هولت : ثم حاولت أن تنشىء مدرسة للرقص .

مسز رومل ، ولم تنجح فى هذا بالطبع ، فمن من الآباء
يعهد بأطفاله إلى مثل هذه المرأة ؟ على أنها
لم تعش طويلا ، لأن هذه السيدة لم تعتد
العمل كما تعلمين ، وأصيبت بعلة فى صدرها
ثم ماتت .

مسز لينى : يا لها من قصة رهيبة !.

مسز رومل : فعلا ، ولاشك أنك ترين أن وقعها كان
شديداً لدى أسرة برنلك ، فانها النطقة
السوداء فى شمس سعادتهم « كما عبر زوجى
عنها » ولذلك أرجوك يامسز لينى ألا تتفوهى
بشىء من ذلك فى هذا المنزل .

مسز هرلت : ولا عن اختها لأمها بالله .

مسز لينى : حسناً ، ولكن أليس لمسز برنلك أيضاً أخت
غير شقيقتها ؟

مسز رومل : لقد كان لها لحسن الحظ ؛ ولكن علاقتهما
مقطوعة الآن ، لأن سلوكها كان شاذا كل

الشذوذ ! تصورى أنها كانت تقص شعرها وتلبس أحذية الرجال أيام المطر .

مسز هولت : وعند ما سافر أخوها لأمها ، ذلك الخائب يوهان إلى أمريكا ، وكانت البلدة كلها ساخطة عليه ، فماذا تظنين أنها فعلت ؟ لقد سافرت ولحقت به فى أمريكا .

مسز رومل : ولكن يامسز هولت ، ما رأيك فى الفضيحة التى سببتها قبل أن تسافر ؟

مسز هولت : لاتفتحى هذا الموضوع .

مسز لينى : سبحان الله هل أتت بفضيحة أيضاً ؟

مسز رومل : نعم ، طبعا سأخبرك ، يامسز لينى ، كان كارتسن برنلك قد خطب بيتى تونسن ، ولما جاء متأبطاً ذراعها لتزور عمتها وتعلن هذه الخطبة ...

مسز هولت : لأن آل تونسن يتامى كما تعليمين .

مسز رومل : فعندما رأتهما لونا هيسل ، قامت من الكرسى الذى كانت تجلس عليه ، وصفعت كارتسن برنلك ، صفعة قوية رنانة على أذنه ، نعم صفعت كارتسن برنلك الساحر الفاتن .

مسز لينى : غير معقول !

مسز هولت : بل ، إنه هو الحق بعينه .

مسز رومل : وبعد هذا ، حزمت حقيبتها ، وذهبت لأمريكا .

مسز ليني : لابد ، أنها قد وضعت عينها عليه ، هو نفسه.
مسز رومل : حقاً ، كانت تحلم به وتظن أنه كان سيخطبها بعد عودته من باريس .
مسز هولت : كم يضايقنى أنها كانت تفكر فى ذلك ، فى برنلك الذى يعرفه العالم ، والذى هو شاب ساحر كل ما فيه لطف .. معبود النساء .
مسز رومل : ومع هذا كله ، فهو مستقيم يا مسز هولت ، وذو أخلاق طيبة .
مسز ليني : ولكن ماذا تم للانسة هيسيل ، فى أمريكا ؟
مسز رومل : هناك حجاب ، ليس من الحكمة رفعه ، كما قال زوجى ، ذات يوم .
مسز ليني : ماذا تعنين ؟
مسز رومل : لك أن تتصورى ، أنه لم يعد بيننا وبين أسرتها أىّ ارتباط ، ولكن أهل المدينة كلهم يعرفون أنها تغنى الآن فى المقاهى ، هناك .
مسز هولت : وأنها تقوم بالقاء المحاضرات العامة .
مسز رومل : وأنها نشرت كتاباً فظيعاً .
مسز ليني : تصورى هذا !
مسز رومل : آه ، إنها نقطة سوداء أخرى فى سعادة أسرة برنلك ، والآن لقد عرفت يا مسز لينى ، كل شىء عن الموضوع . يعلم الله أنى ما ذكرت

ذلك إلا لأجعلك على حذر .

مسز لينى : أرجو أن تثقى بى ، كل الثقة ، ولكنى أشعر بأسف شديد لموقف دينا دورف .

مسز روملِ : أما هى فقد كانت سعيدة الحظ ، ماذا سيكون حالها لو أنها استمرت فى رعاية أبويها . لقد كان من الطبيعى أن تتولى أمرها ، وتسدى إليها النصح بأحسن ما تستطيع ، وبعد ذلك دعتها مسز برنك لتعيش معها فى منزلها .

مسز هولت : ولكن حياتها كلها مثل الطفل العنيد ، ويمكنك طبعاً أن تتصورى حياة مثل هؤلاء . فهى ليست كبناتنا ، فمن الممكن قيادتها ، ولكن ليس من الممكن دفعها يا مسز لينى .

مسز روملِ : ها هى ذى آتية (بصوت عال) نعم ، فعلا ، الدينا فتاة قادرة ؟ آه ، هل أنت هنا يا دينا ، انظرى إلينا وقد جلسنا وأهملنا الخياطة !

مسز هولت : آه ، ما أجمل رائحة قهوتك يا دينا العزيزة ، إن فنجانا منها فى وقت الضحى لشىء عظيم .

مسز برنك : (من بالخارج على الدرج) القهـــوه فى انتظاركن . (مسز برنك ودينا تســـاعدان الخادمة على استخراج معدات القهوة ،

تخرج النساء جميعهن ، وهن يتحدثن بلطف ورقة زائدة مع دينا ، وبعد لحظة تعود دينا إلى الحجرة ، وتبحث عما كانت تطرزه) .

مسز برنك : (فى الخارج على منضدة القهوة) دينا ، ألا تحبين بعض القهوة أيضاً .

دينا : لا ، شكراً ، لا أريد شيئاً منها .

(تجلس دينا وتخيط ، مسز برنك وروورلاند يتبادلان بعض الكلمات ، وبعد لحظة يدخل روورلاند الغرفة) .

روورلاند : (ينتحل عذراً ليمرّ بالمنضدة ويتحدث مع دينا بصوت خفيض) دينا .

دينا : نعم .

روورلاند : لم لا تأتيننا إلى الخارج ؟

دينا : ذلك لأنى وأنا آتية بالقهوة ، فهمت من نظرات السيدة الغريبة ، أن الحديث كان عنى .

روورلاند : وهل لاحظت أيضاً عند خروجك مقدار شفقتها عليك .

دينا : وهذا هو ما لا أحتمله .

روورلاند : إنك عنيدة يا دينا .

دينا : نعم ؛ أنا كذلك .

روورلاند : ولكن ، لم يكن هذا طبعك ؟

دينا : خلقت هكذا .

رورلاند : ألا تستطيعين أن تغيرى طبعك ؟

دينا : لا .

رورلاند : لم لا ؟

دينا : (وهى تنظر إليه) لأننى مثل الأخوات الساقطات

رورلاند : لماذا يا دينا ؟

دينا : وكذلك كانت أمى أيضاً .

رورلاند : من حدثك عن هذه الأشياء ؟

دينا : لا أحد ، لا أحد يتكلم .. لماذا لا يتكلمون ؟ إنهم يعاملوننى بكل رقة وتلطف ، كأنى على وشك الانهيار ، آه ، كم أمقت هذا التلطف !

رورلاند : إنى أفهم جيداً أنك تشعرين بالضيق هنا ، ولكن ...

دينا : نعم ، وكم أود أن أخرج بعيداً ، فأشق طريقى بنجاح ، لو عشت بين أناس ليسوا هكذا . هكذا ...

رورلاند : ماذا تعنين بلفظ هكذا ؟

دينا : الخليقين بالاحترام ، الفضلاء .

رورلاند : أنت لا تعنين هذا ، طبعاً يا دينا .

دينا : آه ، أنت تعلم جيداً ماذا أعنى ، إن مجىء هيلدا ونيتا إلى هنا ، إنما يُقصد به أن تضربا

لى المثل ، وأنا لا يمكننى أن أصبح كاملةً
مثلها ، ولا أحبّ أن أكون . آه ، لو ابتعدت
عن هذا المكان ؛ لأصبحت صالحة طيبة أيضاً

روورلاند : ولكنك طيبة يا عزيزتى دينا .

دينا : وما فائدة هذه الطيبة لى هنا ؟

روورلاند : هل أنت جادة فى قولك : إنك تريدين الخروج من هنا ؟

دينا : لولاك ما عشت يوماً هنا بعد الآن .

روورلاند : خبّرينى ، يا دينا ، لماذا تحبين البقاء معى بالذات ؟

دينا : لأنك تُعلمنى كثيراً مما هو جميل .

روورلاند : جميلٌ ؟ أتسمِّين ما أعلمك إياه جميلاً ؟

دينا : نعم ، أوْ بمعنى أصح فأنت لا تعلمنى شيئاً ، ولكنى يخيل إلى عند ما أستمع إليك ، أنى أرى كثيراً مما هو جميل .

روورلاند : ما هو بالتحديد مفهوم الشىء الجميل، عندك؟

دينا : لم نفكر فى ذلك أبداً .

روورلاند : إذن ، فكرى فيه الآن ، ما هو مدلول الشىء الجميل ؟

دينا : الشىء الجميل هو الشىء العظيم ، ولكنه بعيد المنال .

روزلاند : إنني يا عزيزتي دينا ، شديد الاهتمام بأمرك .

دينا : أهذا كل شيء ؟

روزلاند : أنت تعلمين جيداً ، كم أنت عزيزة عندي .

دينا : لكن لو كنت أنا هيلدا ، أو نيتا ، لما خشيت أن يعلم الناس ذلك .

روزلاند : آه ، يا دينا ، أنت لا تعلمين أى شيء ، عن آلاف الاعتبارات التي تشغل البال ، فإذا كان من واجب الإنسان ، أن يكون — من الوجهة الأخلاقية — عماد المجتمع الذى يعيش فيه ، فإنه، مهما بلغ من الحذر ، لن يتجاوز فى ذلك القدر الواجب ، ولو أننى كنت على يقين من أن الناس يفسرون دوافعى تفسيراً صحيحاً ... ولكن من الواجب ، أن تفنى هذه الدوافع نفسها من سوء فهم المجتمع ، يجب أن تمد لك يد المساعدة ، بل الواقع أنها ستمد لك لتنتشلك . دينا ، هل اتفقنا على أنه إذا ما أتيت إليك — حين تسمح الظروف أن آتى إليك — قائلاً : « هذه يدى » عندئذ تقبلينها وتصبحين لى زوجة ؟ أهذا منك وعد يادينا ؟

دينا : نعم .

روزلاند : شكراً . شكراً ، لأنى ، ومن أجلى أيضاً ... آه

يا دينا إننى شغوف بك ، ها هو ذا شخص قادم ، اذهبى إلى الآخرين ، إكراماً لخاطرى

(تخرج إلى مائدة القهوة ، وفى نفس الوقت يدخل رومل وساند ستاد وفيجلاند آتين من الغرفة التى إلى اليسار يتبعهم برنك يدخل فى يده اضمامة من الأوراق) .

برنك : وعلى هذا ، فإن الاتفاق قد تم .

فيجلاند : نعم ، الحمد لله ولتسوّ الأمور على هذا النحو.

رومل : لقد تم فعلاً يا برنك ! إن كلمةً تخرج من فم الرجل النرويجى ، لهى فى ثباتها كصخرة من صخور الدوفرفيلد ، وأنت تعلم هذا .

برنك : ولا تردد ، ولا تراجع ، ولا ضعف ، مهما لاقينا من المعارضة .

رومل : إما أن نقف صفًّا واحداً ، أو نضيع معاً .

هيلمار : (وقد وصل إلى باب مطل على الحديقة) نضيع معاً ، أقول مع الاحترام الواجب : أليس الذى سيضيع هو مشروع السكة الحديدية ؟

برنك : لا ، بالعكس ، إنه سيسير إلى الأمام .

رومل : بأقصى سرعة ، يا مستر تونسن .

هيلمار : (وهو يتقدم) أصحيح هذا ؟

رورلاند : ماذا ؟

مسز برنك : (عند باب الحديقة) يا عزيزى كارستن ، ما هذا كله ؟

برنك : يا عزيزتى بيتى ، ماذا يهمك من هذا ؟ (ثم يخاطب الرجال الثلاثة) غير أننا يجب علينا الآن أن نعد القوائم والكشوف ؛ خير البر عاجله ؛ وسنضع أسماءنا نحن الأربعة فى أول القائمة ، بطبيعة الحال ، إن المكانة التى لنا — فى مجتمعنا هذا — توجب علينا أن نبذل كل ما فى وسعنا .

ساندستاد : هذا أمر مفروغ منه يا مستر برنك .

رومل : سنصل به إلى النهاية ، لقد أخذنا ذلك على عاتقنا .

برنك : طبعاً ، وأنا لا أخشى النتيجة ، يجب أن نبدأ العمل ، كل منا فى ميدانه ، وإذا ما نجحنا فى استدرار العطف ، الحق الفعّال من كل الطبقات ، كانت النتيجة التى لا بد منها ، إن البلدية سترى من واجبها أن تقوم بنصيبها .

مسز برنك : ولكن يا عزيزى كارستن ، أليس من الواجب أن تأتى وتخبرنا عنه ؟

برنك : آه ، يابنتى العزيزة ، لا يمكن للنساء أن يفهمن هذا ، ونحوه .

هيلمار : فأنت حقيقة تنوى أن تعضد مشروع السكة الحديدية .

برنك : نعم ، بطبيعة الحال .

رورلاند : لكنك فى العام الماضى يا سيدى ...

برنك : مشروع العام الماضى شيء آخر ، لقد كانوا يتحدثون عن الخط الساحلى ...

فيجلاند : ولم نكن فى حاجـــة إلى مثله طبعاً ، لأننا نُسيّر بواخرنا .

ساندستاد : وكانت تكاليفه باهظة جداً .

روملر : نعم . ثم إنه كان سيقضى على المصالح المكتسبة ، فى هذه البلدة .

برنك : المهم أن الخط الساحلى لم يكن ليفيد المجتمع بوجه عام ، ولذلك عارضته ، فووفق على الطريق الداخلى .

هيلمار : لكن الخط الداخلى ، لن يمر بالمدن التى حولنا ، ويربط بعضها ببعض .

برنك : سوف يمر ببلدنا ، يا عزيزى هيلمار ، لأننا سنمد خطاً فرعياً إلى هنا .

هيلمار : آه فهمت ؛ هذه فكرة جديدة إذن ؟

روملر : فكرة من الطراز الأول طبعاً ، أليس كذلك؟

رورلاند : نعم .

فيجلاند : كما لو كانت العناية الإلهية — فيما يبدو — قد أعدت هذه الأرض هنا ، لفرع السكة الحديدية بنوع خاص .

رورلاند : أجادٌ فيما تقول ، يا مستر فيجلاند ؟

برنك : نعم ؛ لا بد لى أن أقر بأن هذه العناية الإلهية قد قادتنى وأرشدتنى أنا أيضاً بنوع خاص ، فقد قمت برحلة فى الربيع الماضى لدراسة بعض المشروعات ، ووصلت بالصدفة المحضة إلى وادٍ لم أكن رأيته من قبل ، ولاح لى كالبرق الخاطف ، أن هذا المكان أنسب الأمكنة لمد فرع السكة الحديدية إلى البلدة ، فأرسلت مهندساً ليمسح المنطقة ، وها هى ذى العمليات الحسابية والتكاليف المبدئية ، وليس ثمّة عقبة تحول دون تحقيقه .

مسز برنك : (وهى مازالت عند باب الحديقة)ولكن ياعزيزى كارتسن ، تصور أنك تخفى كل هذا عنا .

برنك : لو حدثتك عنه لما استطعت ؛ ياعزيزتى بيتى ، أن تدركى حقيقة هذا المشروع ، وهذا إلى أنى لم أتحدث عنه من قبل اليوم ، لأى مخلوقٍ على الإطـــلاق ، أما الآن فقد حلت اللحظة الحاسمة ، ويجب أن نعمل فى النور ؛ وبكل

مالنا من قوة ، ولابد لى أن أحقق هذا المشروع ، ولوخاطرت فى سبيل تحقيقه بكل شئ عندى .

روميل : ونحن معك ، ولك أن تعتمد علينا .

رورلاند : إذن ، هل تتوقعون الشئ الكثير من هذا المشروع أيها السادة ؟

برنك : بلاشك ، إنه سينهض نهضة عظيمة ببيئتنا كلها ، وما عليك إلا أن تتصور الطريق ، وما ستصل إليه بفضله هـــذه المساحة الهائلة من الغابات ، وتصور طبقات الحديد الخام الغنية التى يمكن استغلالها ، وفكر فى النهر ، ومساقط المياه يتلو بعضها بعضا ، وفى احتمالات ازدهار الصناعة هناك !

رورلاند : ولكن ألا تخشى أن يؤدى ارتباطك بالعـــالم الخارجى ، الفاسد ، المنحل ، إلى ...

برنك : لتطمئن قلبا يامستر رورلاند ، فإن بلدنا الصغير المجد يعتمد اليوم — والحمد لله — على أساس متين من الأخلاق ، ولقد أسهمنا كلنا فى تطهيره إن صح هذا التعبير ، وسنستمر فى هذا العمل ، كل فى ميدانه الخاص ، فأنت يامستر رورلاند تواصل عملك الخير فى المدرسة وبين الأسرة ؛ أما نحن ، رجال العمل ، فسنرفع من شأن المجتمع ،

بنشر الرخاء فى أوسع نطاق ؛ أما سيداتنا —
نعم تفضلن ، تفضلن واسمعن ما أقول —
وسيداتنا هن زوجاتنا وبناتنا — فعليهن جميعاً
أن يسرن إلى عملهن بلا اضطراب ، فى أعمالهن
الخيرية وأن يصبحن فى الوقت نفسه برداً
وسلاماً على أقرب الرجال لهن ، كما تفعل
بيتى لى ، ومارتا لأولاف (ينظر حوله)
عجبا ! أين ذهب أولاف اليوم ؟

مسز برنك : إنها العطلة المدرسية ، ومن الصعب أن نربطه فى المنزل .

برنك : أعتقد أنه عاد إلى البحر مرة ثانية ، وسترين أنه سيصيبه الضرر قبل أن يفرغ من دراسته

هيلمار : إنما هو يقضى فسحته مع قوى الطبيعة .

مسز رومل : كم هو جميل منك أن تكون رب الأسرة المهتم بشئونها ، يا مستر برنك !

برنك : لا شك أن الأسرة — كما تعلمين — هى أساس المجتمع فالبيت الكريم ، والأصدقاء الشرفاء المخلصون ؛ والدائرة الصغيرة من الأحباء ، حيث لا عوامل منغصة يثيرها أفراد مشاغبون (يدخل كراب رئيس المكتبة من اليمين ، ومعه خطابات وبعض الصحف) .

كراب : الصحف الأجنبية يامستر برنك ، وبرقية من نيويورك .

برنك : (يأخذ البرقيـــة) آه ؛ من أصحاب سفينة « الفتاة الهندية » .

روميل : آه ، البريد وصل ؛ اسمح لنا بالانصراف إذن يا مستر برنك .

ساندستاد : إلى اللقاء يا مستر برنك .

برنك : إلى اللقاء أيها السادة ، وتذكروا أن لدينـــا اجتماعاً بعد ظهر اليوم فى الساعة الخامسة .

الثلاثة معاً : إن شاء الله (يخرجون من اليمين)

برنك : (وقد قرأ البرقية) عجباً ! يا له من تفكير أمريكى بحت . منتهى الفظاعة .

مسز بورنك : خيراً يا كارستن . ماذا بك ؟

برنك : كراب ، خذ واقرأ !

كراب : (يقرأ) « أقل ما يمكن من الإصلاحات ، أرسلوا الفتاة الهندية بأسرع ما يمكن عائمة ، الموسم طيب ، وحملوها بشحنة طيبة . . الواقع يجب أن أقول ....

برنك : الشحنة ستبقيها عائمة ؛ إن أولئك الســـادة يعلمون جيداً أن مثل تلك الشحنة ستدفع بها إلى قاع البحر كما يندفع الصخر .

روورلاند : حقاً ، إن هذا يوضح لنا سر الأمور فى هذه المجتمعات الكبيرة التى يشيد الناس بمدحها ،

برنك : أنت على حق فى هذه النقطة ، إنهم لا يهتمون حتى بالحياة الإنسانية ، إذا ما كان هناك الربح والمكسب (إلى كراب) هل يمكن أن تبحر ، « الفتاة الهندية » خلال أربعة أيام أو خمسة ؟

كراب : من الممكن ، إذا وافق المستر فيجلاند ، أن نبطل العمل فى « النخلة » خلال هذه المدة .

برنك : إنه لن يفعل ذلك ، اقرأ الخطـــابات من فضلك ، وبهذه المناسبة أسألك ، هل رأيت أولاف فى حوض السفن ؟

كراب : كلا يا مستر برنك (يذهب إلى أبعد غرفة جهة اليسار) .

برنك : (وهو ينظر إلى البرقية مرة أخرى) إن أولئك السادة لايقيمون وزنا لأرواح ثمانية عشر رجلا .

هيلمار : نعم ، أليست رسالة البحارة هى أن يقاوموا عناصر الطبيعة ؟ يا له من شئ يثير المشاعر ، أن ترى نفسك هناك ، هناك وليس بينك وبين قاع البحر إلا لوح من الخشب رقيق — إذا صح هذا التعبير .

برنك . أودّ أن أرى صاحب أى سفينة هنا ، يرى مثل هذا الرأى ، لكننى لا أجد أحداً من هذا القبيل ، لا أجد أحداً قط (يلمح ابنه أولاف) الحمد لله ها هو ذا سالماً .

(أولاف ، يمسك بخيط سنارة وقد جاء يجرى من الشارع ، ويدخل من باب الحديقة) .

أولاف : (ما زال فى الحديقة) يا عم هيلمار ، لقد ذهبت لأرى السفينة البخارية .

برنك : هل عدت إلى حوض السفينة ؟

أولاف : لا بل ركبت قارباً ، لا أكثر ، تصور ياعم هيلمار أن هناك فرقة كاملة من اللاعبين نزلت إلى البر ، ومعها خيول وحيوانات متوحشة ، وأن هناك عدداً كبيراً من المسافرين أيضاً !

مسز رومل : أصحيح أننا سنشاهد أفراد فرقة اللاعبين الراكبين ؟

رورلاند : نحن ؛ لا أرجو ذلك .

مسز رومل : طبعاً ، لا أقصد أننا نحن ، ولكن ..

دينا : أحب أن أرى ملعب حيوانات .

أولاف : وأنا كذلك .

هيلمار : أنت أحمق صغير ، أيستحق هذا أن تراه ؟ إن لعب الحيوانات ليس إلا مسألة تدريب ،

أما أن ترى حيوان الجونشو يطبخ في براري
أمريكا الجنوبية ، فهذا شيء آخر . أما هنا
في هذه الأماكن الصغيرة ..

أولاف : (يمسك بالآنسة برنك) أنظري أنظري ها هم
أولاء قادمين .

مسز هولت : حقاً يا إلهي ، لقد أتوا .

مسز ليني : خلائق رهيبة !

(عدد كبير من المسافرين يمرون في الشارع ،
وخلفهم جمهور كبير) .

مسز روميل : آه ، صحيح ، إنهم جميعاً دجالون . أنظري إلى
هذه المرأة ذات الثياب الرمادية يا آنسة هولت ،
إنها تحمل حقيبة من قطعة بساطٍ على ظهرها .

مسز هولت : صحيح ، إنها زوجة مدير الفرقة فيما أظن .

مسز روميل : وما من شك في أن معهم مدير الفرقة نفسه ،
ها هو ذلك الرجل الملتحي ، إنه يبدو كرجل
العصابات . هيلدا ، لا تنظري إليه .

مسز هولت : ولا أنت يا نيتا .

أولاف : ماما ، إن المدير يلوح لنا بيده .

برنك : إيه ؟

مسز برنك : ماذا تقول يا بني ؟

مسز روميل : يا إله السماء ، إن المرأة تلوح أيضاً .

برنك : إن ذلك مهين حقاً .

مارتا : (تصرخ دون وعى) آه .

مسز برنك : مارتا ، ماذا بك ؟

مارتا : آه .. لا شيء .. ظننت أنى ...

أولاف : (يصرخ فرحاً) أنظروا . أنظروا ها هم أولاء الآخرون قادمين ، ومعهم الحيول والوحوش ، والأمريكيون كذلك ، وجميع بحارة «الفتاة الهندية» (تسمع عبارات يانكى — دودل — أصوات البراعة والطبول) .

هيلمار : (وهو يضع أصبعيه فى أذنيه) أف ! أف !

رورلاند : أظن أنه يجب علينا أن ننسحب قليلا ، أيتها السيدات ، إن هذا الوضع لا يليق بنا ، فلنعد إلى عملنا مرة أخرى .

مسز برنك : ربما كان من الخير أن تسدل الستائر .

رورلاند : نعم ، وهذا بعينه ما كنت أفكر فيه .

(تجلس النساء حول المنضدة ، ويغلق رورلاند باب الحديقة ، ويسدل الستائر عليه وعلى النوافذ ، وتصبح الحجرة قليلة الضوء .

أولاف : (وهو يطل) أماه ، إن زوجة مدير الفرقة بجوار المضخة ، تغسل وجهها .

مسز برنك : ماذا تقول ؟ فى وسط السوق ؟

مسز رومل : وفى رابعة النهار .

هيلمار : لو أنني كنت فى الصحراء ووقفت أمام ينبوع ماء ، لما كنت أظن .. آه ما أبشع أصوات البراعـــة !

رورلاند : الواقع أن رجال الشرطة لا يكونون على حق إذا تدخلوا الآن .

برنك : آه .. مهلاً مهلاً ، علينا أن نترفق بهؤلاء الأجانب ، إنهم محرومون من تلك الرقة المتأصلة فى نفوسنا، والتى تحفظنا من الزلل ! فليسيروا على سنتهم فما يهمنا منهم ؛ إن هذا الخلل الاجتماعى ، والثورة على التقاليد المريعة ، والأصول الأخلاقية ، لغريبة — لحسن حظنا — عن هذا المجتمع ، إذ صح لى أن أقول هذا ، ماذا أرى ؟ ما هذا . . .

(تدخل المرأة الغريبة الشكل . ضاحكة من الباب الذى إلى جهة اليمين) .

النساء : (بأصوات خفيضة مرتعدة) امرأة الحلبة ، زوجة المدير .

مسز برنك : رباه ؛ ما هذا ؟

الآنسة برنك: (وهى تقفز) آه .

المرأة (لونا): صباح الخير ، يا عزيزتى بيتى ، صباح الخير

يا مارتا ، صباح الخير يا زوج أختى .

مسز برنك : (صارخة) لونا .

برنك : (يرجع خطوة إلى الوراء) إنها بعينها. إنها...

مسز هولت : ولكن يا إله السماء .

مسز رومل : لا يمكن أن يكون .

هيلمار : أف !

مسز برنك : لونا ! أأنت لونا بحق ؟

لونا : هل أنا بحق ! إننى أنا طبعاً ، ويمكنك أن ترمى بنفسك على رقبتى إذا كان ذلك ما تريدين أن تعرفيه .

هيلمار : أف ! أف !

مسز برنك : وعلى ذلك فلقد حضرت إلى هنا على أنك ..

برنك : وستقومين فعلاً بـ .. بـ .. ؟

لونا : أقوم فعلاً ، بماذا !

برنك : أقصد فى الحلبة .

لونا : هاهاها ، يا أخى العزيز هل جننت ؟ هل تظن أننى مع أفراد الحلبة ؟ لست أنكر أننى قمت بأعمـــال كثيرة ، واستهدفت إلى سخرية الناس و ..

مسز رومل : هم .

لونا : غير أننى لم أشترك فى السيرك .

برنك : وعلى ذلك فأنت لست ...

مسز برنك : آه ، الحمد لله .

لونا : لا .. لا .. لقد أتينا كما يأتى الناس المحترمون ، صحيح أننا جلسنا بالدرجة الثانية ولكننا اعتدنا هذا .

مسز برنك : أتقولين « إننا » ؟

برنك : ماذا تعنين بقولك إننا (مقترباً خطوة نحوها) .

لونا : ولدى وأنا طبعاً .

النساء : (صارخات) ولدك !

هيلمار : ماذا ؟

رورلاند : حسناً ! يجب أن أقول أن ...

مسز برنك : ولكن ، ماذا تعنين يالونا ؟

لونا : أعنى جون طبعاً ، فمبلغ علمى أن ليس معى ولد آخر غير جون ، ذلك الذى تعرفونه باسم يوهان .

مسز برنك : يوهان !

مسز رومل : (هامسة لمسز ليني) إنه أخوها الخائب .

برنك : (يتردد) هل عاد معك ؟

لونا : طبعاً . طبعاً .. لا يمكن أن أسافر إلا معه ، ولكن ما هذا الحزن البادى عليكن ؟ وما بالكن تجلسن فى هذا الضوء الخافت تخطن ملابس

بيضاء ؟ هل مات لكن أحد من أفراد الأسرة ؟

رورلاند : سيدتى العزيزة ، أنت الآن بين أعضاء جمعية مساعدة الأخوات الساقطات .

لونا : (بصوت منخفض) ماذا تعنين ؟ أتعنين هؤلاء السيدات الجميلات الفاتنات .

مسز رومل : حسناً . فعلا يجب أن أقول ...

لونا : أوه ، أهى أنت يا مسز رومل ، ليباركك الله ! وأنت أيضاً يا مستر هولت ! نحن الثلاثة لم نصغر كثيراً عما كنا حين التقينا آخر مرة ، ولكن يا صديقاتى العزيزات اتركن مساعدة الأخوات الساقطات يوماً واحداً ، فلن يزيدهن هذا اليوم شقاء ، وإن فرصة جميلة كهذه يجب ألا ...

رورلاند : إن العودة إلى الوطن ، لا تعتبر دائماً مناسبة سعيدة .

مس هسل : أهذا صحيح ماذا يقول أنجيلك أيها القديس ؟

رورلاند : إنى لست قسيساً .

مس هسل : حسناً ، إنك ستصبح كذلك يوماً ما ، ولكن هذه الملابس التى تقدم للإحسان تفوح برائحة الفناء ، وكأنها كالأكفان ، إنى قد اعتدت الحياة فى البرارى ، وهذا ما أود أن أؤكده لكم .

برنك : (وهو يمسح جبهته) حقاً . إن الحياة هنا ثقيلة بعض الشيء .

مس هسل : فلتنتظروا ، إنكم ستخرجون وشيكا من هذا القبو المظلم . (وهى تحسر الستائر) يجدر بنا ، أن نعيش فى ضوء النهار الساطع ، لتكون فى استقبال ابنى ؛ ابنى حقاً ، إنكم سترون ولداً حسن المظهر .

هيلمار : أف ! أف !

مس هسل : (وهى تفتح الأبواب والنوافذ) حسن المظهر معنى ذلك ، أنه سيأتى بعـــد أن يتمكن من الاغتسال فى الفندق ، فقد كان شائه الخلقة .

هيلمار : أف ! أف !

مس هسل : أتقول أف ؟ عجباً (تشير إلى هيلمار وتوجه سؤالها للاخرين) . ألا زال قابعا هنا قائلاً كل حين « أف » .

هيلمار : إننى لست بقابع ، فإنى أمكث هنا صيانة لصحتى .

مس هسل : (بعد أن لمحت أولاف) أهذا ولدك يابيتى ؟ مد إلى يدك ياغلام . أو أنت خائف من عمتك العجوز الشمطاء ؟

رورلاند : (وهو يتأبط كتابه) أيتها السيدات ، لست أعتقد أن الظروف تسمح الآن بمزيد من العمل اليوم ،

ولكننا بالطبع سنجتمع غداً .

مس هسل : (بينما وقف الزوار للانصراف وتوديع الحاضرين) لنفعل ذلك ، وسأكون هناك .

رورلاند : أنت ؟ أسمحى لى مس هسل ، أن أسألك عما ستفعلينه فى مجتمعنا هذا ؟

مس هسل : سوف أدع بعض النساء النديّة ، لتدخل إلى هنا أيها القسيس .

الفصل الثانى

(نفس المكان ، الحجرة المطلة على الحديقة ، فى منزل برنك ، تجلس مسز برنك بمفردها أمام منضدة الخياطة ، تخيط ، وبعد قليل يدخل المستر برنك من اليمين ، وقبعته على رأسه وعصاه وقفازه فى يده — الوقت صباحاً) .

مسز برنك : أهكذا ، تعود إلى البيت مبكراً يا كارتس .

برنك : نعم ، إن رجلاً ما ، سيأتى إلىّ .

مسز برنك : (وهى تتحسر) آه عرفت .. إنه يوهان . . سيعود مرة أخرى ، أظن ذلك .

برنك : قلت لك : إنه واحد من رجالى (يخلع قبعته ويضعها) أين ذهبت السيدات كلهن اليوم ؟

مسز برنك : لم تجد مسز روملِ ، وهلدا ، الوقت الذى يمكنهما من المجئ .

برنك : هل بعثتا تعتذران ؟

مسز برنك : نعم إنهما مشغولتان جداً بأعمال المنزل ، وهى كثيرة .

برنك : هذا ما أتوقعه ، والأخريات مشغولات أيضاً .

مسز برنك : نعم ، ليس فى وسعهن الحضور .

برنك : ليس غريباً ، لقد كان فى وسعى أن أقول لك ذلك من قبل ، وأين ذهب أولاف ؟

مسز برنك : أذنت له بالخروج بعض الوقت مع دينا .

برنك : إحم ، دينا ، هـــذه الثعلبة الصغيرة ، لقد قلبت الدنيا رأساً على عقب منذ رأت يوهان أمس .

مسز برنك : ولكن يا عزيزى برنك ، إن دينا لا تعرف شيئاً على الإطلاق عن ...

برنك : آه ، كان الواجب على يوهان ، أن يكون له من الكياسة ما يحمله على ألا يبدى لها أى انتباه ، لقد رأيت ذلك واضحاً على وجه فيجلاند .

مسز برنك : (تلقى بالقماش على حجرها) يا كارتس ، هل تعرف سبب مجيئهن ؟

برنك : نعم ، أظن أن له مزرعة هناك ، ولا شك أنه فشل فى إدارتها ، ولقد سمعتها أمس تقول : إنها ركبا فى الدرجة الثانية .

مسز برنك : فعلاً ، أخشى أن يكون ثمة شئ من هذا القبيل ، ولكن ما سر مجيئها معه هى بعد ما ألحقته بك من إهانة لا تغتفر ؟

برنك : لا تفكرى فى هذه الحكاية القديمة .

مسز برنك : وكيف أفكر الآن فى غير هذا ؟ فهو أخى مهما يكن من أمره ؛ وإن لم يكن هو سبب ..

غير أن هذه المضايقات قد تعكر صفوك ،
إننى خائفة جداً . .

برنك : مم تخافين ؟

مسز برنك : أليس من المحتمل أن يسجنوه على ما بدد من أموال والدتك ؟

برنك : ما هذا الهراء ؟ كيف يثبتون أن هناك أموالاً ضائعة ؟

مسز برنك : يا إلهى إن المدينة كلها تعرف هذا — لسوء الحظ — وأنت نفسك قلت ...

برنك : لم أقل شيئاً مطلقاً ، والمدينة لا تعرف شيئا عن نشأة أمى ، إنما هذه شائعات لا أساس لها من الصحة .

مسز برنك : يا لك من رجل عظيم يا كارستن .

برنك : لا تعيدى علينا هذه الذكريات ، أفهمت ؟ فأنت لا تعلمين إلى أى حد تعذبيننى بما تقلبين من حكايات وذكريات ، (يقطع الغرفات جيئة وذهابا ثم يلقى بعصاه) لِمَ لا يختاران لمجيئهما إلا هذا الوقت بالذات؟ الآن ، حين أشعر بأمس الحاجة إلى النوايا الطيبة من جانب أهل المدينة ، ومن جانب الصحافة أيضا ! ستنهال الخطابات على الصحف من جميع الأنحاء ، وسيكثر

الحديث والهمس ، سواء كنت محبوباً لديهم
أو مكروها منهم ، سيقلبون هذا التاريخ القديم
كليّه كما تقلبينه أنت ، ففى مجتمعنا هذا ،
وأمثاله (يلقى بالقفاز المنضدة) ، حيث لا أجد
رجلاً واحداً يمكننى أن أتحدث إليه أو أعتمد
عليه ...

مسز برنك : لا أحد مطلقاً يا كارستن ؟

برنك : أبدا ، من أين نجد ذلك الفرد الواحد ؟ لِمَ
يفاجئانى فى هذه اللحظة ؟ ما من شك فى أننا
سنواجه فضيحة ما بسببها ، هى على الأخص ،
ومن أكبر المصائب أن يكون للإنسان أمثال
هؤلاء الأقارب .

مسز برنك : ولكننى لم يكن فى وسعى . .

برنك : ما الذى لم يكن فى وسعك ؟ إنهما من أقاربك ؟
هذا حق لاشك فيه .

مسز برنك : ولم أطلب إليهما أن يحضرا إلينا .

برنك : هذا ما تقولين دائما : « لم أطلب إليهما أن تحضرا ،
لم أكتب إليهما ، لم أسحبهما إلى هنا من شعر
رأسهما » إننى أعرف كل هذا عن ظهر قلب !

مسز برنك : (تنفجر باكية) ولكن يا لقسوتك !

برنك : خيرا ما تفعلين ، اشرعى فى البكاء حتى تجد البلدة

فى ذلك البكاء أيضا ماتتحدث عنه كفى عن
هذا الهراء يابنتى ، أخرجى ، واجلسى فى الخارج ،
فربما جاء أحد إلى هنـــا ، هل تريدين منهم
أن يروا مسز برنك ، وعيناها ملتهبتان ؟ نعم
ما أجمل أن نسمع فى كل مكان أن ... — صه !
إنى أسمع شخصا فى الردهة (يسمع طرقة) —
تفضل ! (تخرج مسز برنك إلى سلم الحديقة
ومعها ما تخيط ويدخل أون من اليمين) .

أون : صباح الخير ياسيدى .

برنك : صباح الخير ، أتعرف لماذا استدعيتك ؟

أون : أخبرنى رئيس الكتبة بالأمس أنك ياسيدى
لست مرتاحا إلى . .

برنك : لست مرتاحاً لحالة العمل كله فى حوض السفن ،
يامستر أون ، إن العمل لم يتقدم مطلقا فى اصلاح
السفن المحطمة ، ولقد كان من الواجب أن تبحر
« النخلة » من زمن بعيد وها هو ذا المستر فجلاند
يضايقنى كل يوم ، وأنت تعلم أنه شريك مخالف .

أون : إن « النخلة » يمكن أن تبحر بعد غد .

برنك : أخيراً « والفتاة الهندية » تلك السفينة الأمريكية
التى بقيت على شواطئنا أكثر من خمسة أسابيع .

أون : الأمريكية ؟ الذى أفهمه هو أنك تريد منا أن

نبذل كل الجهد ، لكى نفرغ من إصلاح سفينتك ، أولاً .

برنك : لم أقل شيئاً تفهم منه ذلك ، كان عليك أن تسرع بإصلاح السفينة الأمريكية فى الوقت نفسه ، ولكنك لم تفعل .

أون : إن قاع هذه السفينة تالف أشد التلف ، يا سيدى ، فكلما رفعناه زاد سوءاً .

برنك : ليس ذلك سبب المتاعب الحق ، ولقد أخبرنى كراب بما يحدث فعلا ، ذلك أنك لا تعرف كيف تستخدم الآلات الحديثة التى وضعتها ، أو بمعنى أصح أنك لا تريد أن تستعملها .

أون : مستر برنك ، إننى على أبواب الستين من عمرى يا سيدى ، ولقد تعودت منذ الصغر على طريقة العمل القديمة .

برنك : ولكننا لا يمكننا استعمالها الآن ، ويجب ألا تظن يا أون أننى استجلبتها حباً فى الربح فأنا — من حسن الحظ — لست فى حاجة إلى ذلك ، ولكن على أن أقدر حاجيات ذلك المجتمع الذى أعيش فيه ومطالب هذه المنشئات التى أديرها ، فالتقدم يجب أن يأتى من ناحيتى وإلا فلن يتقدم المجتمع أبداً .

أون : وأنا أيضاً أبغى التقدم يا سيدى .

برنك : نعم ، لدائرتك المحدودة ، لطبقة العمال ، إننى أعرف جيداً الكثير عن أعمالك السياسية المثيرة ، فإنك تلقى الخطب وتثير الناس ، ولكن عندما تبدو فرصة للتقدم واضحة ملموسة — كما هى الحال الآن باستعمال الآلات الحديثة — فإنك لا تريد أن تتعاون معنا .

أون : طبعاً ، أنا خائف يا مستر برنك ، أنا خائف على هؤلاء العمال الذين ستحل الآلات محلهم ، وتسلبهم أرزاقهم ، إنك يا سيدى كثيراً ما تتحدث عن اهتمامك بالمجتمع ، ولكنى أظن أن على هذا المجتمع واجبات أيضاً ، فكيف تجرؤ العلوم ورأس المال على أن تبدأ هذه المخترعات الحديثة العمل ، قبل أن يتعلم جيل بأسره استخدامها ؟

برنك : إنك تقرأ وتفكر كثيراً يا أون ، ولن يصيبك من هذا خير ، وهذا هو سبب عدم رضائك عن وضعى .

أون : ليس هو السبب يا سيدى ، إنما السبب فى عدم رضائى ، هو أننى لا أطيق أن أرى عاملا مجدا فى إثر عامل ، يفقد رزقه بسبب هذه الآلات .

برنك : لما استخدمت آلات الطباعة ، فقد عدد من النساخين موارد رزقهم .

أون : أكنت تحب ذلك الاختراع ، لو كنت فى تلك الأيام يا سيدى ؟

برنك : ما دعوتك إلى هنا للمناقشة ، إنما استدعيتك لأخبرك أن « الفتاة الهندية » المحطمة يجب أن تبحر بعد غد .

أون : ولكن يا سيدى .

برنك : هل سمعت ، بعد غد ، فى نفس الموعد الذى تبحر فيه سفينتنا ، لا تتأخر عنها ساعة واحدة ، فلدىّ من الأسباب ما يوجب علىّ تنبيهك إلى هذا ، هل قرأت صحف الصباح ؟ علمت طبعاً أن الأمريكيين عادوا مرة أخرى يثيرون المتاعب ، فهؤلاء الجماعة الغلاظ يقيمون البلد ويقعدونها ، فما من ليلة تمر دون مشاجرة فى الحانات بل فى الشوارع أيضاً ، ولست فى حاجة أن أشير إلى غير هذا من سلوكهم الشائن .

أون : هذا حق ، فهم قوم أشرار .

برنك : ومن الملوم على هذا الضرر ؟ أنا ، طبعاً أنا ! فرجال الصحف فى هذا البلد يلوموننا بطريق غير مباشر ، لأننا نستخدم جميع مواردنا

فى إصلاح «النخلة» ونترك السفينة الأمريكية ،
وأنا ذلك الذى كل أمله فى الحياة أن يضرب
المثل لمواطنيه ، علىّ أن أتحمل هذا اللوم ،
وأن يلطخ اسمى ، الحق أنى لم أعد أطيق
هذا ، لا يمكن أن يلطخ اسمى على هذا النحو .

أون : إن اسمك يا سيدى نقىٌّ جداً لا تلطخه أمثال
هذه الأشياء .

برنك : ليس الآن ، إنما أحتاج فى هذه الآونة إلى
كل مظاهر الاحترام ، وحسن النية التى يمكن
لبنى وطنى أن يقدموها لى ، فبين يدىّ
مشروع عظيم ، كما سمعت طبعاً — ولكن
إذا نجح أصحاب النية السيئة فى زعزعة هذه
الثقةالا عظيمة التى أحظى بها ، فلربما ترتب
على ذلك خسائر خطيرة ، لذلك أرى أن
أسكت هؤلاء الصحفيين ، وأضع حـداً
لنقدهم المنطوى على الخبث ، مهما كلفنى ذلك
من جهد ، ولذلك حددت الموعد بعد غد .

أون : ويمكنك أيضاً أن تحدد هـذا الموعد بعد
ظهر اليوم .

برنك : أتعنى أننى أطلب المستحيل ؟

أون : طبعاً ، وبخاصة أنك تعرف عدد من عندنا

من العمال الآن .

برنك : وإذن فعليّ أن أبحث عن عمال في غير هذا المكان ؟

أون : أصحيح أنك تنوى فصل عدد آخر من العمال الأقدمين ؟

برنك : لا ، إنى لا أفكر فى هذا .

أون : لأنى أظن أن ذلك سيثير الناس والصحف .

برنك : هذا جائز ، لذلك لن أفعل هذا ، ولكن إذا لم تبحر « الفتاة الهندية » بعد غد فسأفصلك من عملك .

أون : (فى فزع) أنا ! (ضاحكا) لاشك أنك تمزح يا سيدى .

برنك : من الأفضل ألا تعتمد على فهمك هذا .

أون : لا أظن أنك يمكنك أن تفصلنى ، أناالذى أبوه وجده قد اشتغلا هنا فى هذا الحوض طول حياتهما وأنا أيضاً ...

برنك : ومن الذى يضطرنى إلى ذلك ؟

أون : إنك تطلب المستحيل يا سيدى .

برنك : آه ؛ على قدر الإرادة تكون الوسيلة ؛ نعم أم لا ، أجب بصراحة ، وإلا فصلتك فى هذه اللحظة .

أون : (يقترب منه خطوة) هـــل فكرت مليًّا يا سيدى فى معنى فصل عامل مسن ؟ إنك تتوقع أنه سيبحث عن عمل آخر ، إنه سيفعل ذلك بطبيعة الحال . ولكن هل هذا كل ما فى الأمر ؟ كم أود أن تكون فى بيت هذا العامل المفصول عندما يعود إلى بيته ، ويلقى بصندوق عدده .

برنك : هل تظن أننى أفصلك وأنا غير آسف ؟ ألم أكن دائماً رجلا عاقلا حكيما ؟

أون : وهذا هو الأدهى يا سيدى . فهم من أجل هذا السبب عينه لا يلومونك فى المنزل ، وهم كذلك لا يجرؤون أن يتفوّهوا بحرف واحد عنى ، لأنهم يخافوننى ، ولكنهم سوف ينظرون إلىّ دون أن ألاحظ ويقولون فى أنفسهم ، إنه هو الذى طلب ذلك بلا ريب . أرأيت أن هذا هو ما لا أطيق ، ربما كنت فقيراً ولكن الناس ينظرون إلىّ على أنى رب أسرتى ، رب بيتى الصغير وما بيتى إلا مجتمع صغير أيضاً يا سيدى ، ولقد استطعت أن أعولها وأرفع من شأنها لأن زوجتى تثق بى . ولأن أولادى يثقون بى ، والآن سوف ينهار كل ذلك ويتحطم .

برنك : حسناً ، إن لم يكن فى الإمكان غير هذا فعلى الصغير أن ينتحى ويترك مكانه للكبير ، ومهما يكن من شيء فيجب أن يضحى الفرد لصالح المجموع ، وهذا هو الجواب الوحيد الذى أستطيع أن أجيبك به ، وهــذه سنة الحياة فى هذه الدنيا ، ولكنك شخص عنيد يا أون ، فأنت لا تعــارضنى لأنك لا تمكنك أن تفعل غير ذلك ، بل لأنك لا تحب أن تثبت تفوّق الآلات على العمل اليدوى .

أون : وأنت تصر يا سيدى على فصلى ، لتبرهن لرجال الصحافة فى القليل على حسن نواياك .

برنك : هب أن ذلك صحيح ، أتعلم ماذا يترتب على هذا بالنسبة لى ؟ ! أول ما يترتب عليه أن تهاجمنى جميع الصحف ، وثانيها أن تصبح هذه الصحف نفسها مستعدة للثناء علىّ فى اللحظة التى أعمل فيها لقضية كبرى ، وللصالح العام ، إذن فماذا تريد منى أن أفعل ؟ هل أستطيع أن أعالج المسألة بغير الطريقة التى أعالجها بها ؟ إن المشكل واضح جداً وهو أن أحتفظ بك وبذلك أحفظ أسرتك

كما تقول ، فأضحى بمئات الأسر الأخرى التى لن تقوم لها قائمة ، ولن توقِد فى منازلها ناراً للتدفئة ، إذا أنا لم أفلح فى تحقيق مشروعى الذى أعمل له الآن ، وهذا هو السبب الذى من أجله تركت لك الخيار .

أون : إذا كان الأمر كذلك ، فليس عندى ما أقول أكثر مما قلت .

برنك : يؤسفنى يا عزيزى أون ، أن علينا أن نفترق بعضنا عن بعض .

أون : لن نفترق يا سيدى

برنك : ماذا تقول ؟

أون : إن لكل إنسان ، حتى العامل ، رسالة فى هذه الدنيا « يؤديها ويدافع عنها »

برنك : حقاً ، حقاً ، وإذن فأنت تظن أنك تستطيع أن تعد .

أون : إن « الفتاة الهندية » يمكن أن تبحر بعد غد . (ينحنى ثم يخرج من اليمين) .

برنك : آها ، لقــد تمكنت من إذلال هذا الرأس العنيد ، وإنى أرى ذلك فألاً حسناً .

(يدخل هيلمار وفى فمه لفافة كبيرة ، من الباب المؤدى للحديقة) .

هيلمار : (على السلم) صباح الخير يا بيتى ، صباح الخير يا برنك .

مسز برنك : صباح الخير .

هيلمار : آه ، أرى آثار البكاء فى عينيك ، فلا شك أنك على علم بالأمر إذن ؟

مسز برنك : لماذا ؟

هيلمار : بالفضيحة التى ذاع خبرها فى كل مكان ، أف !

برنك : ماذا تعنى ؟

هيلمار : (مقترباً) إن الأمريكيين يجوبان الشوارع متأبطين جهرة ديناورف ، فخورين بها .

مسز برنك : (وهى تتبعه) ولكن ياهيلمار أمن الممكن أن ..؟

هيلمار : ما أقوله هو الحق بعينه لسوء الحظ ، بل الأدهى أن لونا لم تكن حصيفة فنادت علىّ ، ولكن طبعا ، تظاهرت بأنى لم أسمع النداء .

برنك : ولاحظ الناس ذلك طبعاً .

هيلمار : بدون شك ، فقد لفتوا نظر الناس ووقفوا يحدقون فيهم ، وانتشر النبأ فى المدينة ، كما تنتشر النار تسوقها الريح ، وتعلق الناس بنوافذ جميع البيوت ينتظرون الموكب وهو يمر وخدودهم تبدو من خلف الستائر ، أف ! عفواً

يابيتى ، إننى أقــول أف : لأن هذه المناظر تفتك بأعصابى ، وإذا استمر ذلك الوضـــع فسأضطر إلى الإبتعاد عن هذه البلدة .

مسز برنك : كان عليك أن تتحدث معه وتلفت نظره إلى ..

هيلمار : فى الشارع ،لا ، أشكرك، حقا ! هذا المخلوق — بعد كل ماحدث — يتجاسر أن يظهر فى شوارع هذا البلد ! حسناً سنرى ما ستكتبه الصحف عنه ، إن هذا يؤسفنى حقاً يا بيتى ، ولكن

برنك : الصحف ! أتقول الصحف ؟ هل سمعت إشارة إلى هذا الأمر ؟

هيلمار : سمعت ، عند ما تركتك أمس ، مشيت حتى النادى لأنى لم أكن أشعر براحة ، كان كل شىء على ما يرام ، ولكنى فهمت من السكوت المفاجىء ، أنهم كانوا يتناقشون فى أمر الأمريكيين ثم يأتى هذا الوقح « هامر » الصحفى ليهنئنى بصوت مرتفع لعودة ابن عمى الغنى .

برنك : الغنى

هيلمار : نعم ، هذا ما قاله ، نظرت إليه من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ، طبعاً ، بما يستحق من حملقة جعلته يفهم أننى أجهل كل شىء

عن ثروة يوهان تنيسن ، فقال لى ، «صحيح !
إن أمرك غريب » فالناس فى أمريكا سرعان
ما يغتنون إذا كان لديهم بعض المال يبدأون
به ، ولم يذهب ابن عمك إلى هناك خاوى
الوفاض .

برنك : كفى ، أرجو ألا ..

مسز برنك : (فى أسى) أعلمت إذاً يا كارستن

هيلمار : مهما يكن من شىء ، فإنى لم أنم طوال الليل
بسبب هذا المخلوق ، وها هوذا يجوب الشوارع
كأنه لم يفعل شيئاً يستحق عليه اللوم ، يا لله !
لِمَ لَمْ يختف إلى الأبد ؟ إن بعض الناس
يتعلقون بالحياة بهذا الشكل ! إلى أبعد حد ،
وذلك منهم ... أمر لا يحتمل .

مسز برنك : أستغفر الله ، ماذا تقول يا هيلمار ؟

هيلمار : آه ، لا أقول شيئاً ولكن هذا هوذا يروح
ويجىء ويهرب بجلده من حوادث السكك
الحديدية ، ومن دببة كاليفورنيا والهنود الحمر
ذوى الأقدام السود ، دون أن يمسه أقل سوء ،
ها هم أولاء قادمين .

برنك : (وهو ينظر إلى الشارع) وأولاف معهم أيضا.

هيلمار : طبعاً ، طبعاً ، وذلك لكى يذكر الناس أنهم

ينتمون إلى أكبر أسرة فى البلدة ، أنظروا ،
أنظروا ! إن جميع العاطلين والحاملين
يخرجون من مخازن العقاقير يرمونهم بنظراتهم
وأقوالهم ، وهذا ما لا تطيقه أعصابى ، بالله
كيف يستطيع الإنسان أن يرفع راية المثالية
خفاقة فى السماء والحال على ما هى عليه ؟

برنك : إنهم قادمون إلينا من فورهم ، استمعى الآن
يابنتى ، إن رغبتى بالتحديد هى أن تعامليهم
بكل ما فى وسعك من مودة .

مسز برنك : أتسمح لى بذلك يا كارستن ؟

برنك : بكل تأكيد ، وأنت أيضاً يا هيلمار . وأرجــو
ألا نمكثا هنا طويلا ؛ وإذا كنا معهما على انفراد
أرجــو ألا تشيرى أية إشارة إلى قصتهما لأن
علينا ألا نجرح شعورهما .

مسز برنك : يالك من رجل عظيم ياكارستن !

برنك : دعك من هذا .

مسز برنك : لا ، بل دعنى أشكرك وأرجوك أن تصفح عن
غضبى السابق ، فلديك كل الحق فى ...

برنك : والآن حسبك هذا .

هيلمار تنيسن : أف !

(يدخل يوهان ومعه دينا وخلفهما لونا وأولاف

من باب الحديقة)

الآنسةهسل: صباح الخير ، صباح الخير يا أهلى الأعزاء .

يوهان : كنا يا كارستن نشاهد جميع الأماكن القديمة .

برنلك : نعم ، هكذا سمعت ، وقــد حدث فيها تغيير كبير أليس كذلك ؟

لونا : إن منشآت كارستن برنلك عظيمة وكثــيرة فى جميع أنحاء المدينة ، وقد ذهبنا إلى الحدائق العامة التى أهديتها إلى البلدة .

برنلك : هل رأيتها ؟

لونا : نعم وقرأنا على مدخلها « هدية من كارستن برنلك » إنك الرجل الذى يعمل كل شىء هنا .

يوهان : وشاهدت سفنك الرائعة عند ما قابلت زميلى فى المدرسة ، قائد « النخلة » .

الآنسةهسل: نعم وقد أنشأت مدرسة كبيرة أيضا ، ولقد سمعت أنك أنت الذى قمت بمشروعى الغاز والماء فى المدينة .

برنلك : على المرء أن يخدم المجتمع الذى يعيش فيه .

لونا : هذا جميل منك ولكن أجمل منه أن تسمع الناس بقدرتك ، لا أظن أننى أحسن الزهو والخيلاء ، ولكن لم يكن فى وسعى إلا أن أذكر لواحد أو اثنين ممن تحدثت إليهم أننى من أبناء هذه الأسرة .

هيلمار : أفّ !

لونا : هل تقول أفٍّ ؟ ردّاً على هذا .

هيلمار : لا لم أتأفف ، بل كنت أتعجب .

لونا : إفعل ما بدا لك أيها المسكين ، ولكنى أرى أنك اليوم وحدك .

مسز برنك : نعم ، إننا اليوم بمفردنا .

لونا : وأقول بهذه المناسبة ، لقد قابلنا بعض « الأخوات الفاضلات » فى ميدان السوق. لقد كن مشغولات على ما يبدو ، ولكن لم نبدأ نحن الحديث عن موضوع جدى ، فبالأمس كان هناك ثلاثة من الرواد الأولين فى مشرعات السكك الحديدية ، ثم كان أيضاً ذلك القسيس . .

هيلمار : المدرس .

لونا : أنا أسميّه قسيساً ، ولكن ما علينا ، ما رأيكم فى إنتاجى أنا طول هذه الأعوام الخمسة عشر ، ألم يصبح رجلا ظريفاً ، من يعلن أنه هو ذلك الخائب نفسه الذى هرب من وطنه .

هيلمار : هم ..

يوهان : آه يا لونا ، لا تتباهى كثيراً .

لونا : لا ، بل أنا فخورة فعلاً ، يعلم الله أن هذا هو كل ما أنتجته فى حياتى ، ولكنه يجعل لى بعض الحق فى أن أكون هنا الآن ،

نعم يا يوهان ، وعند ما أتذكر كيف بدأ
كلامنا من هنا معتمدين على مخالبنا الأربعة
لا أكثر .

هيلمار : بل على أيدينا .

لونا : إننى أقول مخالب ؛ لقد كانت قذرة للغاية .

هيلمار : أف .

لونا : قذرة ؛ وخاوية .

هيلمار : خاوية ، أهى خاوية ؟ يجب علىّ أن أقول.. !

لونا : ماذا يجب عليك أن تقول ؟

هيلمار : يجب أن أقول أف .

(يخرج إلى سلم الحديقة) .

لونا : ماذا جرى له ؟

برنك : لا يشغلك أمره ، لقد أصبح متوتر الأعصاب
فى هذه الأيام . ولكن ألا تحبين أن تشاهدى
حديقتى ، إنك لم تذهبى إليها بعد ، ولدىّ
من الوقت ساعة .

لونا : نعم ، كم أحب ذلك ! أرجو أن تعتقد أننى
أننى كثيراً ما كنت هنا فى تلك الحديقة معك
بأفكارك .

مسز برنك : وستلاحظين أنه قد حدث فيها أيضاً تغيير
كبير .

(ينزل كل من برنك وزوجته ولونا إلى الحديقة حيث يمكن مشاهدتهم غادين رائحين أثناء الحوار التالى) :

أولاف : (عند باب الحديقة) عم هيلمار أتعلم ما قاله لى خالى يوهان ، لقد سألنى هل أحب أن أذهب معه إلى أمريكا ؟

هيلمار : أنت ، أنت أيها الأحمق الصغير ، أنت يا من لم تشب عن الطوق بعد .

أولاف : نعم ، ولكنى لن أصبح ذلك ، سترين عند ما أكبر .

هيلمار : سخف ، وهراء . ليس لديك رغبة حقة فى تلك النتائج المثيرة .

(يخرجان معاً إلى الحديقة) .

يوهان : (مخاطبا دينا وقد خلعت قبعتها ووقفت فى مدخل الباب على اليمين تنفض التراب عن ملابسها) يبدو عليك الدفء ، بعد هذا السير .

دينا : فعلاً ، لقد كانت فسحة جميلة لم أتمتع بمثلها من قبل .

يوهان : لعلك لا تخرجين كثيراً للنزهة فى الصباح ؟

دينا : بلى ، ولكنى لا أخرج إلا مع أولاف .

يوهان : فهمت . ألا تفضلين أن تنزلى معهم إلى الحديقة ، بدل أن تبقى هنا ؟

دينا : لا ، بل أفضل البقاء هنا .

يوهان : وأنا أيضاً ، وعلى ذلك فقد اتفقنا على أن نخرج للفسحة كل صباح .

دينا : لا يا مستر تونسن ، يجب عليك ألا تفعل هذا.

يوهان : ما الذى يجب علىّ ألا نفعله . لقد وعدتنى ، أتذكرين ؟

دينا : نعم ، ولكن لقد عاودت نفسى الآن ، أنا ، لا يمكنك الخروج معى .

يوهان : ولكن لِمَ لا ؟

دينا : أنت طبعاً غريب عن هذا البلد ، ولا يمكنك أن تفهم قصدى ، ولكنى سأخبرك .

يوهان : بأى شىء ؟

دينا : بل ، لا داعى لطرق هذا الموضوع .

يوهان : بل أرجو ، سأستمع لكل ما تقولين .

دينا : وإذن فيجب علىّ أن أشرح لك ، إننى لست كالبنات الأخريات فهناك شىء ، خاصٌّ بى ، ولذلك لا يمكنك .

يوهان : ماذا تقولين ؟ إننى أضرب أخماسا فى أسداس ، هل ارتكبت جرما ؟

دينا : لا ، لست أنا نفسى ولكن لا ، لن أواصل الحديث بعد الآن، يمكنك أن تعرف كل شىء من غيرى .

يوهان : ها .

دينا : ولكنى كنت أحب أن أسألك عن شىء آخر .

يوهان : عن أى شىء ؟

دينا : أمن الميسور حقاً ، أن يصبح المرء شيئاً يستحق الذكر فى أمريكا ؟

يوهان : والله ليس ذلك من السهل دائماً ، بل على الإنسان طبعاً ، أن يقاسى كثيراً من المتاعب وأن يجتهد ويكد أول الأمر .

دينا : فعلا ، وأنا مستعدة لذلك .

يوهان : أنت ؟

دينا : نعم يمكننى أن أعمل بجد ، فأنا قوية سليمة البنية ، وقد علمتنى جدتى مارتا أشياء كثيرة .

يوهان : إذن ، فلماذا لا تأتين معنا ؟

دينان : آه ، لا شك أنك تمزح الآن ، فلقد عرضت نفس السؤال على أولاف أيضاً ، ولكن الذى كنت أحب أن أعرفه هو هل الناس هناك يستمسكون كل الاستمساك بالفضيلة .

يوهان : يستمسكون بالفضيلة ؟

دينا : نعم ، أعنى هل هم فضلاء محترمون كما هم عندنا ؟

يوهان : مهما يكن من أمرهم ، فهم ليسوا بهذه الدرجة من السوء كما يظنهم الناس هنا ، ولا داعى لأن تخافى من هذا .

دينا : إنك لم تفهمنى بعد ، كل الذى أرجوه ألا يكونوا جد مستقيمين مستمسكين بالفضيلة إلى حد بعيد .

يوهان : ألا يكونوا ؟ فكيف تريدينهم إذن ؟

دينا : أريدهم طبيعيين .

يوهان : آه ، فهمت . أظن أنهم قد يكونون كذلك بالضبط .

دينا : إذ فلو ذهبت إلى هناك ، لكان ذلك من أهم الحوادث فى حياتى .

يوهان : عظيم طيعا لذلك تعالى معنا .

دينا : لا ، لن أذهب معكما ، بل سأذهب بمفردى ، لابد أن أشق طريقى ، وسرعان ما يستقيم أمرى

برنك : (وهو واقف أسفل سلم الحديقة من السيدتين) قفى عندك ، انتظرى عندك ياعزيزتى بيتى فربما أصابك البرد ، (يأتى إلى الحجرة باحثا عن لفاعة زوجته) .

مسز برنك : (خارج الحجرة فى الحديقة) عليك أن تأتى أيضا يا يوهان، نحن ذاهبون إلى المغارة .

برنك : لا، بل يجب على يوهان أن يبقى هنا معى يا عزيزتى بيتى، لأنى أحب أن أسمع منه عن الحياة هناك .

مسز برنك : حسن جداً ! . أنت تعلم كيف تجدنا، فالحق بنا متى شئت .

(تنزل مسز برنك ولونا ودينا من الحديقة الذى جهة اليسار يراقبهم برنك لحظة، يعبر المسرح ويغلق الباب البعيد الذى إلى اليسار، ثم يتقدم من يوهان ويمسك بكلتا يديه مسلما ومحيياً) .

برنك : يوهان، هانحن أولاء بمفردنا، ولابد لى أن أشكرك وأن تقبل منى هذا الشكر .

يوهان : هراء .

برنك : إن منزلى، وبيتى وسعادتى العائلية، ومنزلتى الاجتماعية، بكل هذا أنا مدين لك .

يوهان : والله هذا ما يسرنى ياعزيزى كارستن، فلقد تمحضت تلك المسألة السخيفة عن شىء طيب آخر الأمر .

برنك : (وهو يمسك بيده مرة أخرى) أشكرك، أشكرك مهما تكن النتيجة، فلم يكن رجل واحد

بين عشرة آلاف ليقدم إلىّ ما قدمته أنت
في ذلك الوقت .

يوهان : إن ذلك لا يستحق الذكر ، ألم يكن كلانا
شابا لا يتحمل أية تبعة ؟ وكان لابد أن يتحمل
أحدنا اللوم مهما يكن من أمر .

برنك : ولكن من الملوم إذا لم يكن هو الذى ارتكب
الجرم ؟

يوهان : لا ، فى هذه المرة وقع اللوم على الإنسان البرى
لقد كنت مستقلا عن الناس وحرا من الالتزامات
لقد كان من نعم الله أن أترك البلاد وأستقيل
من العمل ، أما أنت فلقد كانت أملك على قيد
الحياة ، وكنت إلى ذلك قد خطبت بيتى سرا ،
وكانت بيتى مولعة بك ، فماذا كان يحدث لها إذا
ما عرفت ؟

برنك : حقاً ، حقاً ، ولكن ...

يوهان : ألم يكن من أجل خاطر زواجك ببيتى أنك
قطعت علاقتك بمسز دورف ؟ على أية حال
فأنت لم تذهب إليها فى تلك الليلة إلا لتقطع
علاقتك بها ، ولتبدأ حياة نظيفة .

برنك : نعم ، تلك الليلة اللعينة عند ما حضر زوجها
المخمور إلى المنزل . حقاً يا يوهان لقد كان

ذلك من أجل بيتى ، ولكن عند ما أتذكر كيف]
كنت عظيما إلى ذلك القدر ، فتتقبل اللوم
وتحمله عنى ثم ترحل إلى أمريكا

يوهان : دع عنك هذه الوساوس يا عزيزى كارُستن ،
لقد اتفقنا فى ذلك الوقت أن يحل الموقف
بتلك الصورة ، فلقد كنت صديقى وكان على
أن أنقذك ، ولقد كنت جد فخور بتلك
الصداقة ، فهأنذا فى تلك القرية خامل قابع
فى عقر دارى ، بينما كنت أنت قد رجعت
من سياحتك فى خارج القطر رجلا عظيما ،
وسيداً ممتازاً ، زرت لندن وباريس ، ثم
بعد ذلك أخترتنى لأكون صديقاً لك على
حين أنى كنت أصغرك بأربعة أعوام . نعم
لقد أدركت الآن السبب . كنت تحب أختى
بيتى ، لا بأس ؛ ولكن كم كنت فخوراً بتلك
الصداقة ، ومن ذا الذى لم يكن ليفتخر بها ؟
ومن ذا الذى لم يكن ليرضى عن طيب خاطر
أن يضحى بنفسه فى سبيلك ، خصوصا إذا
ما كان العقاب لا يعدو أن يكون مجرد قيل
وقال « مدة شهر » ثم فرصة الرحيل إلى العالم
الفسيح ؟

برنك : ولكن يا عزيزى يوهان إن تلك الحادثة لم تنس بعد .

يوهان : لم تنس بعد ! على أية حال ، ماذا يهمنى عند ما استقر هناك فى مزرعتى مرة أخرى .

برنك : إذن ، فأنت عائد إلى هناك .

يوهان : طبعاً .

برنك : ولكنك لن تعجل فيما أرجو .

يوهان : بأسرع ما أستطيع فإنما حضرت إلى هنا لاحقق رغبة لونا لا أكثر .

برنك : آه ، وكيف كان ذلك ؟

يوهان : إن لونا لم تعد شابة بعد ، ويبدو أن الحنين إلى الوطن قد اشتد بها أخيراً ولكنها لا تريد أن تعترف بهذا (مبتسما) وكيف تجرؤ على أن تترك إنساناً وحيداً مثلى ، أنا الذى تورطت فى سن التاسعة عشرة فى ورطة

برنك وماذا بعدئذ ؟

يوهان : سأدلى إليك يا كارستن باعتراف يجللنى بالعار .

برنك : أرجو ألا تكون قد أخبرتها بالقصة كما حدثت .

يوهان : بلى لقد أخبرتها بكل ما حدث ، لقد أخطأت بلا شك ولكن لم يكن فى نفسى ولا فى وسعى غير ذلك ، ولا يمكنك أن تتصور

مكانة لونا عندى ، إنك لم تقدر على احتمالها
ولكنها كانت لى كأم ، فما أشـــد ما كانت
تكدح فى السنوات الأولى هناك ، كم عملنا
وتعبنا جنباً إلى جنب ! وعند ما حل بى المرض ،
ولم يكن فى وسعى أن أكسب شيئاً ، عـَمدتُ
إلى الغناء فى المقاهى ، ولم يكن فى وسعى أن
أمنعها ، وألقت تلك المحاضرات التى أثارت
ضحك الناس وسخريتهم ، ثم كتبت كتابا
جعلها فيما بعد الضاحكة الباكية . كل ذلك
لكى تبعد عنى شبح الموت ، ولم يكن فى
إمكانى بعد ما كافحت من أجلى أن أرى
حنينها للوطن يفتك بها ، ولا أساعدها على
الذهاب إليه . فقلت لها « ســافرى يا لونا
ولا تخافى علىّ فلست أنا بالشخص المستهتر
كما تظنين » . «وهكذا عرفت القصة كما حدثت».

برنك : وكيف تقبلتها ؟

يوهان : رأت — وكانت محقة فيما رأت — إننى إذ كنت
أعرف أنى برىء ، لا يحق لى أن أمتنع عن
القيام برحلة إلى هذا البلد ، ولكن أرجو
ألا تشغل بالك ، فإن لونا لن تفشى ذلك السر
لأحد على الإطلاق ، أما من ناحيتى فلن يزل
لسانى بعد تلك المرة .

برنك : نعم . نعم ، إنني أعتمد عليك فى ذلك .

يوهان : هذه يدى ، والآن يجب ألا تطرق هذا الموضوع مرة أخرى ، ومن حسن الحظ أنها الغلطة الوحيدة التى تورطنا فيها على ما أظن ، أما أنا فسأتمتع بهذه الأيام التى أمضيها هنا ، ولك أن تتصور جمال تلك النزهة معها فى هذا الصباح ، ومنذا الذى يتصور أنها تلك القردة الصغيرة التى تمثل دور الملاك على المسرح ! ولكن خبرنى يا صديقى العجوز ، ماذا حدث لأهلها بعدئذ ؟

برنك : لا أعرف يا عزيزى يوهان شيئاً أخبرك به إلا ما كتبت لك فى خطابى بعد سفرك . هل وصلك الخطابان ؟

يوهان : نعم ، وصلنى كلاهما . لقد هجرها ذلك الخنزير السكير ، أليس كذلك ؟

برنك : ثم كسر عنقه ومات وهو سكران .

يوهان : ثم ماتت هى أيضاً بعد ذلك بقليل ، ولكنك طبعاً بذلت كل ما فى وسعك لمساعدتها دون أن تلفت إلى ذلك الأنظار .

برنك : آه لقد كانت أبية ؛ لم تفش أى سر ولم تقبل منى أى شىء .

يوهان : على كل حال لقد أحسنت إذ أخذت دينا إلى منزلك .

برنك : فعلاً ، ولكن الحقيقة أن مارتا هى التى تولت رعايتها .

يوهان : آه ، مارتا ، لقد ذكرتنى بها ؛ أين مارتا اليوم؟

برنك : من ؟ مارتا ؟ إنها تزور المرضى حين لا نكون فى المدرسة .

يوهان : إذن فإن مارتا هى التى تولت رعايتها ؟

برنك : إن نقطة الضعف فى مارتا هى حبها للتداريس ، ولذلك قبلت أن تشتغل فى مدرسة المجلس البلدى ، ولقد كان ذلك غباوة منها .

يوهان : كان يبدو عليها الذبول أمس ، وأخشى ألا تساعدها صحتها على ذلك .

برنك : أما من ناحية الصحة فإنها قادرة على التدريس فيما أعتقد ، ولكن ذلك يحرجنى لأن ذلك معناه أننى ، وأنا أخوها ، غير قادر على إعالتها .

يوهان : إعالتها ! ولماذا تعولها أنت ؟ لقد كنت أظن أن لديها من مالها الخاص ما يكفيها .

برنك : ليس لديها شئ ، أنت تذكر ما سببه سفرك من ظروف قاسية تحملتها أمى ، لقد استطاعت

أن تعيش بعض الوقت بمساعدتى ، ولكنى
طبعاً لم أتمكن من الاستمرار بهذا الشكل إلى
غير نهاية ، ولذلك عملت على أن أنقل أنا
إلى الشركة ، ولكن هذا الحل لم يؤد إلى
إصلاح الموقف ، ولذلك قررت أن أتولى
العمل كله بنفسى تقريباً ، وعند ما قمنا بعمل
الحساب الختامى وجدنا أن نصيب أمى كان
لا شئ ، ثم ماتت أمى بعد ذلك ، وطبعاً
لم ترث مارتا أى شئ .

يوهان : مسكينة يا مارتا .

برنك : مسكينة ؟ لماذا ؟ طبعاً أنت لا تظن أننى
تركتها تحتاج إلى أى شئ ؟ أبداً ، أبداً ،
إنه فى وسعى أن أدعى ، أننى أخ كريم ،
إنها تعيش معنا وتأكل معنا وفى استطاعتها
أن تتولى شراء ملابسها من مرتبها فى التدريس ،
وماذا تحتاج امرأة غير متزوجة أكثر من هذا ؟

يوهان : إننا ، فى أمريكا لا نفكر بهذا الأسلوب .

برنك : طبعاً لا ، المجتمع الأمريكى مجتمع ثورى .
أما هنا فى عالمنا الصغير .. فالفساد والحمد لله
لم يشق طريقه الملوثة الملتوية بعد — أو أنه لم
يتوغل إلينا كما توغل فى غير هذا البلد —

فالمرأة هنا ترضى بأن تظهر بالمظهر اللائق وكفى ، وأن اضطرها هذا إلى الابتعاد عن المجتمعات ، أضف إلى هذا أن مارتا هى الملومة على هذا — وقد كان فى وسعها أن تجد من يعولها منذ زمن بعيد .

يوهان : تقصد أنه كان فى إمكانها أن تتزوج !

برنك : طبعاً ، كان فى مقدورها أن تستقر وتستريح ، والغريب أن عروضاً طيبة تقدمت لها ، بالرغم من أنها لم تعـد شابة وليس لها أى دخل خاص ، وليست ممتازة بحال من الأحوال .

يوهان : غير ممتازة ؟

برنك : لا أرى هذا عيباً فيها ، فأنا لا أريدها قط غير ذلك ، فأنت تعرف أن منزلا كبيراً — كمنزلى — يحتاج إلى ذلك الصنف من النساء الذى يمكنه أن يُوَجـّه إلى أى شئ إذا ما طرأ علينا طارئ .

يوهان : نعم ولكن مستقبلها هى ؟

برنك : هى؟ ماذا تعنى ؟ إن لديها بطبيعة الحال الكثير الذى يسليها وما يشغلها ، فهناك أنا وبيتى وأولاف ، إن من واجب الناس ألا يفكروا فى أنفسهم أولا وخصوصاً النساء ، إن لدينا

مجتمعاً صغيراً كان أو كبيراً ، يجب أن نعمل له ، أو على الأقل إن لى أنا مثل هذا المجتمع (وهو يومئ إلى كراب الذى دخل من اليمين) وإليك مثلا فى تلك اللحظة ، هل تظن أننى أمضى وقتى فى العمل لمصالحى الخاصة ؟ أبداً ، أبداً ولا دقيقةواحدة (بسرعة لكراب) خيراً ؟

كراب : (بهدوء ، يعرض عليه كومة من الأوراق) عقود المشتريات كلها مرتبة .

برنك : عظيم ! عظيم جداً ! والآن يا صاحبى العزيز لا بد لى أن أستأذنك لحظة واحدة (يسلم عليه بهدوء) شكراً لك ، شكراً لك يا يوهان ، وطبعاً أنت تعرف أننى دائماً فى خدمتك ، أظنك تعرف هذا ؟ تعال يا مستر كراب ؟ (يذهب برنك وكراب إلى غرفة برنك) .

يوهان : (ينظر إليه فترة من الزمن) هيه ! (يهم بالخروج من الحديقة ولكن الآنسة برنك تدخل من اليمين تحمل سلة على ذراعها) .

يوهان : آه ، أهلا ، مارتا ، أهلا !

مارتا : يوهان ! أهذا أنت ؟

يوهان : أمبكرة جداً مثلى ؟

مارتا : ولو انتظرت هنا دقيقة أخرى لقابلت الآخرين
(تهم بالخروج من جهة اليسار) .

يوهان : لحظة واحدة يا مارتا ، أأنت مشغولة على
الدوام ؟

مارتا : أنا ؟ .

يوهان : بالأمس لم أرك ، ولم أجد فرصة للحديث
معك ، واليوم ...

مارتا : حقاً ، ولكن ...

يوهان : لقد كنا دائماً معا من قبل ، كنا زميلين
في اللعب ؟

مارتا : آه يا يوهان ! لقد كان ذلك من أمد بعيد .

يوهان : آه منذ خمسة عشر عاماً لا أكثر من ذلك
ولا أقل ، هل تظنين أنني تغيرت كثيراً عما
كنت في ذلك الوقت ؟

مارتا : أنت ، نعم تغيرت أيضاً . مع أنك

يوهان : ماذا تقصدين ؟

مارتا : لا شيء .

يوهان : يبدو أن رؤيتك لي مرة أخرى لم تسرك !

مارتا : لقد انتظرت كثيراً جداً يا يوها ، كثيراً جداً ؟

يوهان : انتظرت ؟ انتظرت مجيئي .

مارتا : نعم .

يوهان : ولماذا فكرت فى أننى سأعود ؟

مارتا : لتصلح ما أفسدت .

يوهان : أنا ؟

مارتا : أنسيت أن امرأة ماتت من الجوع والعار بسببك؟ أنسيت أن ابنتها أمضت زهرة طفولتها فى مرارة وشقاء ؟

يوهان : وهل لا بد لى أن أسمع ذلك معك يا مارتا ؟ ألم يخبرك أخوك عن .. ؟

مارتا : عن أى شىء ؟

يوهان : ألم يقل شيئاً أبداً ، شيئاً ما ، أقصد أى شىء يبرر موقفى ؟

مارتا : أنت تعرف جيداً . يا يوهان مقدار تمسك كارستن بالمبادىء الأخلاقية ؟

يوهان : صحيح ، أعرف جيداً أن كارستن برنك — صديقى القديم — شديد التمسك بالمبادئ الأخلاقية ، ولكن هذا فى الواقع ... لقد كنت أتحدث معه الآن ، وأظن أنه تغير بعض الشىء ؟

مارتا : كيف تقول هذا ؟ لقد كان كارستن دائماً أبداً رجلا فوق الرجال ..

يوهان : لم أقصد ذلك بالضبط ، ولكن دعك من

هذا ، والآن أعرف جيداً كيف تنظرين إلى .
لقد انتظرت رجوعى ، رجوع الخامل الذى
لا يحسن عمل أى شىء .

مارتا : إذن فاستمع يا يوهان ، سأخبرك كيف أنظر
إليك (مشيرة إلى الحديقة) أترى تلك الفتاة
التى تلهو هناك مع أولاف ؟ إنها دينا ،
أتذكر ذلك الخطاب المحير الذى كتبته لى
عند ما رحلت ؟ لقد طلبت إلى « أن أثق
بك ، ولقد وضعت ثقتى فيك يا يوهان ،
وكل ما سمعناه بعد سفرك من أخبار سيئة لم
يكن إلا طيش الشبـــاب أتيته عفو الساعة
بدون تفكير .

يوهان : ماذا تقصدين ؟

مارتا : أنت تفهم قصدى جيداً دعنا من هـــذا
الموضوع ولن نعود للحديث عنه ، لقد كان
عليك بطبيعة الحال أن ترحل ، وأن تبدأ
حياة جديدة نظيفة ؛ أتعلم يا يوهان أننى أنا
رفيقة صباك فى اللعب ، كنت هنا أعمل بدلا
منك ، أقوم بالواجبات التى نسيت أو التى لم
يكن فى وسعك أن تؤديها ... أديتها أنا بالنيابة
عنك ، وأنا أقول ذلك حتى لا تلوم نفسك

على هذا أيضاً ، وهذه الطفلة التى أسئ إليها
كنت أنا أُما لها وربيتها أحسن تربية أستطيعها .

يوهان : وبذلك ضيعت معظم حياتك فى ذلك العمل

مارتا : حياتى لم تضع ، ولكنك تأخرت كثيراً فى المجىء يا يوهان

يوهان : مارتا ليتنى أستطيع أن أقول لك .. ولكن دعينى على أية حال أشكر لك صداقتك وإخلاصك .

مارتا : (تبتسم ابتسامة حزينة) وبذلك نكون قد صفينا الحساب يا يوهان (صه) إن إنساناً ما بالباب ، إلى اللقاء .. لا. لا أقدر الآن ..
(تخرج من الباب الخلفى الذى فى أقصى اليسار.
تدخل لونا من باب الحديقة تتبعها مسز برنك)

مسز برنك : (وما زالت فى الحديقة) لك الله يا لونا فى أى شئ تفكرين ؟

لونا : اتركينى لنفسى ، أرجوك يجب أن أتكلم معه ، وسأتكلم .

مسز برنك : ولكن هذا سيؤدى إلى أبشع الفظائع . آه يوهان ، ألا تزال هنا ؟

لونا : هيا أخرج يا بنى ، لا تتلكأ بين تلك الجدران فى الهواء العفن ، توجه إلى الحديقة وتحدث مع دينا .

يوهان : وهذا ما كنت فى طريقى إليه .
مسز برنك : ولكن ...
لونا : جاوبنى يا يوهان هل نظرت إلى دينا مليّاً ؟
يوهان : نعم أظن ذلك .
لونا : عليك يا بنى أن تنظر إليها نظرة ذات هدف ، فهى أنسب شئ إليك .
مسز برنك : ولكن يا لونا !
يوهان : لى ؟
لونا : نعم أقصد لك كى تنظر إليها ، هيا !
يوهان : لشد ما يسعدنى ذلك (ينزل إلى الحديقة) .
مسز برنك : لونا إنى فى حيرة كبيرة من أمرك ، طبعاً أنت لست جادة فيما تقولين ؟
لونا : بل جادة كل الجد . أليست سليمة ، جيدة الصحة وأمينة ، إنها الزوجة التى تصلح ليوهان ، الزوجة التى يحتاج إليها هناك ، وستكون غير ما كانت ، أخت عجوز غير شقيقة مثلى .
مسز برنك : دينا ، دينا دورف ، ولكن فكرى ...
لونا : إن تفكيرى أول الأمر وآخره منصب على سعادة يوهان ، علىّ أن آخذ بيده هذا بلا شك ، وهو لا يتقن مثل هذه الفعال ، ولم

يهتم بالنساء اهتماماً حقاً فى يوم من الأيام .

مسز برنك : يؤسفنى أن لدينا من البراهين ما يثبت أن...

لونا : دعى هــذه القصة السخيفة .. أين ذهب كارستن ؟ أريد الحديث معه .

مسز برنك : أقول لك يا لونا : إنك لن تتحدثى معه .

لونا : بل سأتحدث ، لو أعجب بها ، وأعجبت به ، إذن فلا بد من أن يسعد كلاهما بالآخر ، إن كارستن رجل ذو دهاء ، وما من شك فى أنه سيجد مخرجاً .

مسز برنك : وهل تظنين أننا نجد هنا ذلك السلوك الأمريكى السمج ؟

لونا : هذا منك هراء ، يا بيتى !

مسز برنك : هل يوافق برنك ، وهذه مبادئه الأخلاقية ، التى لا يحيد عنها ؟

لونا : خل عنك ، إن مبادئه ليست ضارة جداً ، أليس كذلك ؟

مسز برنك : ماذا تريدين أن تقولى ؟

لونا : إنى أقولها صريحة ، إن مبادىء كارستن ليست أقوم من مبادىء غيره من الناس .

مسز برنك : أما زال حقدك عليه كما كان ، وإذن فما الداعى لحضورك إن كنت لم تنسى بعد ؟

لا أعرف كيف تجرئين على أن تنظرى إليه بعد أن ألحقت به تلك الإهانة فيما مضى .

لونا : حقاً يا بيتى ، لقد فقدت السيطرة على نفسى فى ذلك الوقت .

مسز برنك : وكم كان عظيما فى كرمه عندما غفر لك ، وهو الذى لم يقترف أى جرم طول حياته ، إلا أنه لم يحقق لك تلك الآمال التى بنيتها عليه ، ومنذ ذلك الوقت والحقد فيك دفين ، (تجهش بالبكاء) إنك دائماً تحسديننى على سعادتى ، والآن تعودين لتصبى جام غضبك علىّ ، ولتكشفى للناس عن الأسرة التى تزوج برنك منها ، إن ذلك كله ينصب على ، وهذا هو ما تريدين ، يا لك من شريرة (تخرج باكية من أقصى باب ، جهة اليسار) .

لونا : (وهى تنظر إليها) مسكينة يا بيتى ، (يدخل برنك آتياً من غرفته) .

برنك : (وما زال عند الباب) نعم ، نعم ، هذا عظيم يا كراب أرسل عشرين جنيهاً لإعانة الجماعة (مديرا وجهه) لُونا (ثم يقترب منها) هـل أنت بمفردك ؟ أليست بيتى قادمة إليك ؟

لونا : لا ، هل أناديها ؟

برنك : لا ، لا داعى ، آه يا لونا ! لو أنك تعرفين ، كم أنا مشتاق للحديث معك بحرية لأطلب إليك العفو والغفران .

لونا : الآن ، أصغ يا برنك ، لا داعى لأن تكون فريسة للعواطف ، فذلك ما لا يليق بنا .

برنك : بل يجب أن تستمعى إلىّ . وإنى أعلم أن كل القرائن ضدى . وبخاصة بعد أن عرفت قصة مسز دورف أم دينا ، ولكنى أقسم لك أن ذلك لم يكن إلا افتتاناً عارضاً ، وكنت عندئذ أحبك حباً صادقاً وأميناً .

لونا : لماذا تظن أننى رجعت إلى الوطن ؟

برنك : أيًّا كان ما تفكرين فيـــه ، فإنى أرجوك ألا تفعلى شيئاً حتى أبرىء نفسى ، فأظن أنه من حقى يا لونا أن أوضح موقفى .

لونا : أنت الآن ترتجف خوفاً ، لقد كنت تحبنى كما تقول ، نعم لقد أكدت ذلك مراراً فى خطاباتك ، وربما كنت صادقاً إلى حدٍّ ما ، وربما كان وجودك فى تلك البلاد الواسعة المتحررة مما شجعك على التفكير تفكيراً حراً عظيما ، وربما وجدت فىّ من القوة والإرادة

ما لم تجده في كثير من الناس فى هذا البلد ،
أضف إلى هذا كله أن ذلك كان سرًّا بيننا ،
فلم يكن ثمة أحد يسخر من ذوقك غير الطيب .

برنك : ولكن كيف تظنين يا لونا ؟

لونا : وعندما رجعت إلى الوطـــن وسمعتهم يسخرون بى ، قابلت سخريتهم مما يسمونه شذوذى وطيشى

برنك : لم تكونى حكيمة فى تصرفاتك فى تلك الأيام .

لونا : إنما كان ذلك لأضايق المتحفظين المتنطعين من الرجال والنساء ، وأولئك المنتشرين انتشار الوباء فى المدينة ، فلما التقيت بعد هذا بتلك الممثلة الشابة الفاتنة ...

برنك : لم يكن ذلك إلا حباً فى التظاهر لا أكثر ، وأقسم لك أن تسعة أعشار تلك الشائعات والفضائح التى انتشرت وقتئذ كذب واتهام بالباطل .

لونا : ربما ؛ وبعد هذا لما أقبلت بيتى مزدهرة وجميلة كالوردة يعبدها كل الشبان ، وعندما عرف أنها الوريثة الوحيدة لخالتى ، وأننى سوف لا أرث شيئا ما ...

برنك : هذا هو بيت القصيد يا لونا ، والآن لن تسمعى منى إلا الحق ، إننى لم أحب بيتى فى ذلك الوقت ولم أتخل عنك لأننى أحبت غيرك ؛ إنما

كان ذلك من أجل المال . كأن شيئا يدفعنى
إليه ، وكان علىّ أن أتأكد من وجود المال .

لونا : وتقول لى هذا فى وجهى ؟

برنك : نعم ، أقوله ، فاصغ إلىّ يالونا .

لونا : ومع هذا ، فقد ذكرت لى فى خطاباتك أنك تهيم
حبا ببيتى ، ثم سألتنى العفو والغفران واستحلفتنى
ألا أذكر شيئا عما كان بيننا إكراما لبيتى .

برنك : أقول لك : إنى كنت مضطرا إلى ذلك .

لونا : وإذن فلست والله بآسفة لأننى لم أتمالك نفسى
فى ذلك اليوم .

برنك : دعينى أشرح لك الموقف وقتئذ بهدوء وسكون
كانت أمى كما تعلمين رئيسة الشركة ، ولكنها
لم يكن لها أى دراية بالأعمال ، فطلب إلىّ أن
أعود من باريس بسرعة ، وكان الوقت حرجا ،
وكان ينتظر منى أن أصلح الأمور من فورى ،
فماذا وجدت ؛ وجدت ما كان لابد من أن
أبقيه سرا مكتوما ، الشركه على وشك الإفلاس
نعم على وشك الإفلاس هذا البيت العظيم الذى
ظل قائما ثلاثة أجيال فماذا كان بوسعى أن
أفعله ؛ وأنا ابن هذا البيت وابنه الوحيد إلا أن
أبحث عن طريقة لإنقاذه ؟

لونا : وإذن فقد أنقــذت بيت برنك العظيم على حساب امرأة

برنك : إنك تعلمين جيداً أن بيتى أحبتنى .

لونا : حسناً وأنا ؟

برنك : صدقينى يا لونا ، ما كنت لتشعرى بالسعادة معى .

لونا : وهل من أجل سعادتى نبذتنى ؟

برنك : أتحسبين أن سلوكى ذاك كان مبعثه الأنانية ؟ لو كنت بمفردى فى ذلك الوقت ، لبدأت العمل مبتهجاً ، لا أثر للخوف فى نفسى ، ولكن ليس فى وسعك أن تعرفى كيف يصبح رجل الأعمال العظيمة تحت ضغط مسئولياته الجسيمة جزءاً من هذا التراث ، أتعلمين أن سعادة المئات ، بل الآلاف من النــاس وبؤسهم ، تعتمد عليه ؟ ألا تدركين ، أن هذا المجتمع بأسره الذى نعتبره أنا وأنت وطناً لنا ، كان يحيق به أكبر الضرر إذا سقط (بيت) برنك وانهار ؟

لونا : أكان من أجل المجتمع أيضاً ، أنك تعيش خمس عشرة سنة على الكذب والتضليل ؟

برنك : على الكذب والتضليل !

لونا : ما الذى تعرفه بيتى عن تلك الحوادث التى سبقت زواجك بها ، والتى أدت إلى هذا الزواج ؟

برنك : أتظنين أنى سـوف أجرح شعورها — دون فائدة — بأن أكشف لها عن هذه الحوادث ؟

لونا : أتقول : دون فائدة ؟ نعم إنك رجل أعمال ، وتعرف ما يحقق أغراضك ؛ أصغ إلىّ يا كارستن ، فسأحدثك أيضاً بهدوء كما تحدثت ، هل أنت سعيد حقاً ؟

برنك : أتقصدين ، أنى سعيد فى أسرتى ؟

لونا : نعم ، طبعا .

برنك : سعيد يا لونا ، فإن تضحياتك من أجل صداقتى لم تذهب هباء ، وفى وسعى أن أقول بحق : إن سعادتى كانت تزداد يوماً بعد يوم ، ذلك أن بيتى طيبة ووديعة ، وقد تعلمت على مر الزمن أن تكيف شخصيتها بما يتفق وشخصيتى .

لونا : هيه !

برنك : كانت فى أول الأمر ، ذات أفكار عالية عن الحب ، وكان من الصعب عليها أن تستكن إلى الفكرة القائلة : إن الحب يجب أن يتحول على مر الزمن إلى صداقة هادئة .

لونا : ولكنها الآن قد ارتضت هذه الفكرة .

برنك : رضـــاء تماماً ، وفى وسعك أن تدركى أن اتصالها بى فى كل يوم لم يخل من أثر فى نضوجها ودقة طبعها ، إن من واجب الناس أن يقللوا من مطالبهم تجاه بعضهم البعض ، إذا أرادوا أن يظهروا بالمظهر اللائق بهم فى المجتمع الذى وضعوا فيه ، وقد تعلمت بيتى هذا ، شيئاً فشيئاً ، وبذلك أصبح بيتنا مثلا حسناً لمواطنينا .

لونا : ولكن أولئك المواطنين لا يعرفون شيئاً عن هذه الكذبة .

برنك : عن الكذبة !

لونا : نعم الكذبة التى ظللت تعيش عليها طوال هذه الأعوام الخمسة عشر

برنك : أتسمين هذا كذبة .. ؟

لونا : نعم أسميه كذبة ، الكذبة ، والكذبة ، والكذبة ، فهى أولا كذبة على ، ثم كذبة على بيتى ؛ ثم كذبة على يوهان .

برنك : إن بيتى لم تسألنى أبداً عن أى شىء .

لونا : لأنها لا تعرف أى شىء .

برنك : وأنت لن تسألينى عن أى شىء إكراماً لبيتى ؛

أرجو أن تتجاهلى الأمر كله .

لونا : لا تخف ، إننى أعرف جيداً كيف أتحمل سخرياتهم المريرة ، فأنا جد صبورة .

برنك : وكذلك يوهان ، لن يسألنى عن أى شىء ، لقد وعدنى بذلك .

لونا : ولكن أنت نفسك ، ألا تشعر أنك تريد أن تتحرر من هذه الكذبة ؟

برنك : أتطلبين أن أضحى — من تلقاء نفسى — بسعادتى العائلية ، وبمكانتى فى هذا المجتمع .

لونا : وبأى حق تكون لك فى المجتمع تلك المكانة التى لك فيه ؟

برنك : لقد ابتعت قليلاً من هذا الحق يوماً بعد يوم طوال خمسة عشر عاماً ، ابتعته بمسلكى فى الحياة وبحق ما بذلت من جهود ، وما حققت من أغراض .

لونا : فعلا لقد عملت ، وحققت الكثير لنفسك ولغيرك ، فإن أغنى الرجال وأقواهم فى هذا البلد لا يجرؤون على فعل شىء ، إلا وهم يطأطئون رءوسهم لإرادتك ، ذلك لأنهم يرون فيك الرجل النظيف ، الذى لا غبار عليه ، فبيتك يبدو لهم المثل الأعلى للبيوت ، وحياتك

الممثل الأعلى للحياة ، ولكن كل هذه العظمة وأنت نفسك معها ؛ إنما تعيش على شفا جرف هار ، فربما أتت اللحظة أو خرجت الكلمة التى يتبخر فيها هذا المجد ، وتنزل أنت فيها إلى الهاوية ، إذا لم تنقـــذ نفسك فى الوقت المناسب .

برنك : لونا . ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

لونا : أتيت لأنقذك ، لأجعل الأرض الرخوة تحت قدميك قوية راسخة يا كارستن .

برنك : أتيت لتنتقمى ، أتريدين الانتقام لنفسك ؟ لقد توجست ذلك ، ولكنك لن تنجحى فى هذا ؛ إن شخصاً واحداً هو الذى يستطيع أن يتكلم ،وأن يسمع له قول ولكنه لن يفتح فمه.

لونا : يوهان ؟

برنك : نعم ، إنه يوهان ولو أن أحدا غيره اتهمنى لأنكرت الأمر كله، وإذا أرادوا أن يحطمونى حاربتهم دفاعاً عن نفسى ، وإنى أقولها لك صريحة « لن تنجحى أبدا » ، إن الذى يملك أن يحطمنى صامت لن يتحدث ، وسيرحل قريباً مرة أخرى (يدخل روملِ وفيجلاند من اليمين) .

رومل : صباح الخير ، صباح الخير يا عزيزى برنلك ، يجب أن تذهب معنا إلى الغرفة التجارية ، إن لدينا كما تعلم اجتماعاً خاصاً بالسكة الحديدية .

برنلك : لا أستطيع ، ذلك مستحيل فى هذه الساعة .

فيجلاند : يجب أن تأتى يا برنلك .

رومل : يجب أن تأتى يا برنلك فهناك من يعمل ضدنا. مثل ذلك الصحفى المدعو هامر وغيره ممن عاضدوا مشروع الخط الساحلى فى العام الماضى. وهم يقولون إن وراء المشروع الجديد منافع شخصية .

برنلك : إذن فاشرح لهم .

فيجلاند : لا فائدة من شرحنا نحن لهم يا مستر برنلك .

رومل : لا ، لا ، يجب أن تحضر أنت بنفسك ، فلن يجرؤ شخص واحد على أن يشك فى أن لك أى منافع شخصية .

لونا : لا أظن أن أحدا يجرؤ على ذلك .

برنلك : قلت لك : إنى لن أستطيع ، إنى متعب ، أو انتظر على أية حال حتى أجمع شتات أفكارى . (يدخل رورلاند من اليمين) .

رورلاند : أرجو أن تعذرنى يا مستر برنلك ... فإنى مضطرب جداً .

برنك : وماذا بك أيضاً ؟

رورلاند : اسمح لى أن أسألك يا مستر برنك ، هل وافقت على أن تخرج تلك الفتاة التى عاشت تحت رعايتك ، وتحت سقف منزلك ، إلى الشوارع بصحبة ذلك الرجل الذى ...

لونا : أى رجل يا سيدى القسيس .

رورلاند : الرجل الذى من دون الرجال جميعاً ، يجب أن تبتعد عنه .

لونا : أحق هذا ؟

رورلاند : أكان ذلك برضاك ، يا مستر برنك ؟

برنك : (يبحث عن عصاه وقفازه) لا أعرف شيئاً عن ذلك ، عن إذنك ، إنى مسرع إلى الغرفة التجارية .

هيلمار : (آت من الحديقة ومتجه إلى الباب فى أقصى اليسار) بيتى ، بيتى اسمعى ، اسمعى .

مسز برنك : (عند الباب) ماذا حدث ؟

هيلمار : يجب عليك أن تنزلى إلى الحديقة ، وتضعى حداً لهذا الغزل الذى يقوم به شخص ما من أصحابنا مع الآنسة دينا دورف ، وقد تحطمت أعصابى عند سماعه .

لونا : أحق هو ؟ وما الذى قاله ذلك الشخص من

أصحابنا ؟

هيلمار : لا شيء إلا أنه سألها أن تذهب معـــه إلى أمريكا . أف !

روورلاند : }
مسز برنك : } معـــاً أيعقل هذا ؟ ماذا تقول ؟

لونا : ولكن هذه فكرة رائعة !

برنك : مستحيل ، لا يمكن ، لقد سمعت خطأ .

هيلمار : إذن فاسأله هو نفسه ، ها هما قادمان ، ولكن أبعدني عن الموضوع .

برنك : (مخاطباً رومل وفيجلاند) سأحضر بعد كما ، بعد لحظة واحدة .

(يخرج رومل وفيجلاند من اليمين — ثم يدخل يوهان ودينا من الحديقة) .

يوهان : أبشري يا لونا إنها ستأتى معنا .

مسز برنك : ولكن ، يوهان ، يا لك من مستهتر !

روورلاند : أهذا حق ؟ يا للخزى ! يا للعار ! بأى فنون الإغراء توصلت ؟

يوهان : خل عنك أيها الرجل ، ماذا تقول ؟

روورلاند : أجيبيني يا دينا ، هل كان هذا هو قصدك ؟ هل هـــذا هو قرارك ، بمحض حريتك واختيارك ؟

دينا : يجب أن أبتعد عن هذا المكان .

رورلاند : ولكن مع هذا الرجل ! مع هذا الرجل !

دينا : دلني على رجل آخر أوتى من الشجاعة ما يستطيع به أن يأخذنى معه .

رورلاند : إذن فستعرفين أى رجل هو .

يوهان : أسكت .

برنك : لا تنطق بكلمة أخرى !

رورلاند : إن فى هذا إساءة فى حق ذلك المجتمع الذى أتولى حماية أخلاقه ، وسأرتكب جريمة لا تغتفر فى حق هذه الفتاة التى أسهمت بقدر عظيم فى تربيتها ، والتى هى بالنسبة لى...

يوهان : كن على حذر مما تقول .

رورلاند : يجب أن تعرف كل شىء ، دينا ، إنه الرجل الذى جلب لأمك الشقاء والعار .

برنك : مستر رورلاند !

دينا : (إلى يوهان) هيه ! أهذ حق .

يوهان : كارستن ، أجب !

برنك : لا أحب أن أسمع كلمة أخرى بعد ذلك .. هذا يكفى اليوم

دينا : إذن فهو صحيح .

رورلاند : حق ، وصحيح ، وأكثر من هذا ، إن ذلك

الرجل الذى وضعت ثقتك فيه لم يهرب من البلد خاوى الوفاض ، بل سرق أموال أم المستر برنك ، ويشهد بذلك المستر برنك نفسه .

لونا : كاذب !

برنك : آه .

مسز برنك : أوه يا إلهى .

يوهان : (متجها نحو رولاند ويده مستعدة لضربه) هل تجرؤ أن .. !

لونا : (توقفه) يمكنك أن تهاجمنى إذا شئت ، ولكن الحق لا بد أن يظهر جليا ، وهذا هو الحق ، لقد قال لك المستر برنك نفسه والبلد كله يعرف ذلك ... والآن يادينا هل عرفته

(سكوت قصير)

يوهان : (بصوت خفيض ، ممسكا بذراع كارستن برنك) كارستن ، كارستن ، ماذا فعلت ؟

مسز برنك : (تتحدث بهدوء وهى تبكى) أوه كارستن ؛ آسف لهذا العار الذى جلبته أنا لك !

ساند ستاد : (يأتى مسرعا من اليمين وينادى ويده على مقبض الباب) لا بد أن تأتى حالاً يا مستر برنك ، إن حياة مشروع السكة الحديدية معلق بخيط .

برنك : (ينحنى جانبا ويحدث نفسه) ماذا يجب أن أفعل

لونا : (بجد ، وبتصميم واضح) يجب أن تذهب لإنقاذ المجتمع يا كارستن .

ساند ستاد : نعم ، تعال .. تعال .. تعال إننا محتاجون إلى ثقة الناس فى أخلاقك .

يوهان : (يقترب من برنك) ، لى فى الغد حديث معك.

(ستار سريع)

(يخرج يوهان من الحديقة . . يخرج برنك مسرعا مع ساند ستاد من اليمين)

الفصل الثالث

(الحجرة المطلة على الحديقة فى منزل برنك . يدخل برنك وعصاه فى يده ، وهو شديد الغضب من أقصى غرفة جهة الشمال ويترك الباب نصف مفتوح) .

برنك : هـذا هو الواجب ، فقد أخذ الأمر أخيراً بالصرامة والشدة ، لا أظن أنه سينسى هذا العقاب أبداً (مُخاطباً شخصاً ما داخل الغرفة) ماذا تقولين ؟ وأنا أقول : إنك أم غبية ! تنتحل له المعاذير وتشجعه على شقاوته ، أتقولين : إن هذه ليست شقاوة ؟ وإذن فماذا تسمينها ؟ ماذا تسمين خروجـه من البيت ليلاً ، وذهابه إلى البحر فى قارب صيد ، ويظل بعيدا الشطر الأكبر من النهار ، وينشغل بالى عليه ، أليس عندى من المتاعب ما يكفينى غير هذا ؟ ثم بعد هذا كله يتجاسر ذلك . الشيطان ويهددنى بالهروب من المنزل ، إذن فليحاول ذلك . أنت ؟ بل أنا واثق كل الثقة أنه لا يهمك أن يصيبه الأذى أولا يصيبه ، وأعتقد أنه لو قتل ... ! أما أنا فأعمالى يجب

أن يتولى هو أمرها بعدى ، وبذلك ليس فى وسعى أن أفقد ابنى . بيتى ، كُفى عن المناقشة ، ونفذى ما أقول ، يجب أن يبقى فى المنزل ولا يتركه ، (منصتاً) صه . لا تجعلى أحداً يلاحظ أى شىء (يدخل كراب من باب اليمين) .

كراب : أتسمح لى بلحظة واحدة يا مستر برنك .

برنك : (يلقى عصاه) طبعاً ، بدون شك ، هل أتيت من حوض السفن ؟

كراب : منذ دقيقة واحدة .

برنك : هل حدث شىء غير مستحب « للنخلة » ؟

كراب : « النخلة » ستبحر غدا . ولكن ...

برنك : « والفتاة الهندية » ألم أكن صادقاً فيما ظننته عن ذلك العنيد .

كراب : « والفتاة الهندية » يمكن أن تبحر غدا أيضاً ، ولكن لا أظن أنها ستذهب بعيدا فى البحر .

برنك : ماذا تعنى ؟

كراب : عفوا يا مستر برنك ، إن الباب مفتوح بعضه ، وأظن أن شخصاً ما هناك .

برنك : « يغلق الباب » لقد أغلقنا الباب ، فما الموضوع الذى يجب ألا يسمعه أحد .

كراب : هو أن المستر أون قد صمم على اغراق « الفتاة الهندية » هى وجميع حارتها .

برنك : ولكن ، برنك كيف تظن ؟

كراب : ليس هناك تفسير غير ذلك ، يا مستر برنك .

برنك : إذن حاول أن توضح لى هذا بأقل ما تستطيع من الألفاظ .

كراب : سأحاول ، أنت نفسك تعلم أن العمل كان يسير ببطء فى الحوض منذ أن استعملت الآلات الحديثة واستخدم العمال الجدد غير ذوى الخبرة .

برنك : نعم ؛ نعم .

كراب : ولكن عندما ذهبت اليوم إلى هناك لاحظت أن العمل فى إصلاح السفينة الأمريكية كان على قدم وساق ، وبسرعة غير طبيعية ، وأصبح الكسر الذى فى قاع السفينة ؛ ذلك الجزء المتآكل ، كما تعرف .

برنك : نعم ، نعم ، ماذا به .

كراب : أصلح كله ، فى الظـــاهر ، تم إصلاحه وتصفيحه وبدأ كأنه جديد ، ثم إننى سمعت أن أون نفسه كان يعمل طول الليل معتمداً على ضوء المصباح .

برنك : نعم ، نعم ، وبعد هذا ؟

كراب : ذهبت وكشفت على قاع السفينة ، وكان العمال قد وقفوا عن العمل ليفطروا ، وتمكنت بذلك من رؤية سطح السفينة وقاعها دون أن يرانى أحد بالرغم من صعوبة النزول إليه ، وبخاصة وهى مشحونة ؛ ولكنى وصلت إلى ما أريد ، إن هنـــاك يا مستر برنك يداً تعمل فى الخفاء .

برنك : لا يمكننى أن أصدقك يا مستر كـــراب ، لا يمكن أن أصدق مثل هذا عن أون .

كراب : طبعاً ، هذا مؤسف ، ولكنه الصدق بلا رياء ؛ إن هناك يداً تعمل فى الخفاء ، أوكد لك هذا ، فلم يستخدم أى لوح من ألواح الخشب الجديد على ما أعلم ، وكل ما فى الأمر تصفيح ودهان وطلاء وزركشة ، لا أكثر . أقولها صريحة لك : إن « الفتاة الهندية » لن تصل أبداً إلى نيويورك ، بل ستغرق فى وسط البحر كأنها آنية محطمة .

برنك : هذا فظيع ! ولكن ما قصده من ذلك فى ظنك ؟

كراب : إنه لاشك يرمى إلى بخس فائدة الآلات ،

وطبعاً يريد الانتقام لنفسه ، يريد أن يعيد العمال القدامى المفصولين .

برنك : ومن أجل هذا يضحى بهذه الأرواح كلها .

كراب : لقد قال بالأمس : إن السفينة الأمريكية ليس عليها رجال ، بل إن الذين فيها ليسوا إلا حيوانات .

برنك : نعم ، نعم ، ولكن ألم يفكر فى هذا القدر الكبير من رأس المال الذى ستخسره ؟

كراب : إن المستر أون يا سيدى لا ينظر إلى رءوس الأموال بعين العطف .

برنك : فعلا ، فعلا ، إنه على الدوام يخلق الضرر ويثير المتاعب ، ولكن هذا المسلك الشائن !
اسمع يا كراب ، يجب أن تفكر مرتين فى هذا الموضوع ، ولن يسمع أحد كلمة واحدة عنه ، وإلا فستضيع سمعة حوض السفن إذا عرف الناس شيئاً مثل هذا .

كراب : طبعاً ، ولكن —

برنك : يجب أن نحتال على الذهاب هناك وقت غداء العمال لأنى يجب أن أتأكد من ذلك كل التأكيد.

كراب : طبعاً ، يجب أن تتأكد من ذلك ، ولكن اسمح لى أن أسألك يا مستر برنك .. ما الذى

ستعمله بعد ذلك ؟

برنك : نرسل تقريراً بالمسألة بالطبع ، وأبعد المسئولية الجنائية عنى ، يجب أن أشعر براحة ضميرى ، ثم إن لهذا أثره الجميل فى الصحف والرأى العام أيضاً ، عندما يعرف الناس أننى أتخلى عن الاعتبارات الشخصية ، وأترك العدالة تجرى فى مجراها .

كراب : حقاً ، حقاً يا مستر برنك .

برنك : ولكن أهم من هذا وذاك ، الدقة فى التحرى ، والتأكد ، وحتى ذلك الحين ألزم الصمت ..

كراب : لن أقول كلمة واحـــدة يا مستر برنك ، وستعرف كل شيء عن ثقة ويقين (يخرج إلى الحديقة ومنها إلى الشارع) .

برنك : (بصوت عالٍ بعض العلو) هـــذا فظيع ومروّع ، غير ممكن ، لا ، محال ، لا يمكن التفكير فيه .

(وبينما هو يحاول أن يذهب إلى حجرته يدخل هيلمار من اليمين) .

هيلمار : صباح الخير يا برنك ، أهنئك بنجاحك فى الغرفة التجارية أمس .

برنك : شكراً .

هيلمار : سمعت أنه نجاح باهر ، نجاح وانتصار الروح الاجتماعيــة المفكرة على المصالح الذاتية والكراهية والتحيز ، لقد كان الأمر أشبه بغارة تأديبية ، ومن عجب أنك استطعت أن تصل إلى ما وصلت إليه بعد ذلك المنظر البغيض ، الذى كان هنا —

برنك : يا سيدى ، دعك من هذا .

هيلمار : ومع هذا فإن المعركة الحقيقية لم تبدأ بعد .

برنك : تقصد فى موضوع السكة الحديدية ؟

هيلمار : نعم ، وأنت طبعاً تعرف ما يبيته لك ذلك الصحفى المدعو « هامر » .

برنك : (باهتمام) لا ، ماذا ؟

هيلمار : إنه توصل إلى معرفة هذه الشائعة التى تروج الآن فى المدينة ، وسيكتب مقالا عنها .

برنك : أية شائعة ؟

هيلمار : شراء الأراضى التى يخترقها خط السكة الحديدية الفرعى ، بطبيعة الحال .

برنك : ماذا تعنى ؟ هل هناك شائعة عن هذا ؟

هيلمار : طبعاً ، إنها فى كل أطراف المدينة ، سمعتها عندما وصلت النادى ، فهم يقولون : إن أحد محامينا قد كلف سراً بشراء جميع

الغابات ، وخامات المعادن ، وكل ما عليها
من منابع القوى المائية .

برنك : وهل قالوا لحساب من ؟

هيلمار : يظنون فى النادى ، أن شركة أجنبية سمعت
بمشروعك ، وتقدمت لهذا المحامى لتشترى
الأراضى لحسابها قبل أن يرتفع سعرها ،
أليست هذه لعبة قذرة ؟ أف !
قذرة .

هيلمار : طبعاً ، أن يسطو الأجانب على أرضنا بهذا
الشكل ، وألا يتورع أحد رجالنا المحامين عن
هذه العملية لحسابه ، وعلى ذلك فستذهب
الأرباح للأجانب .

برنك : ولكن هذه — بدون شك — شائعة لا أساس
لها من الصحة ؟

هيلمار : مهما يكن من أمرها ، فهم يؤمنون بصحتها ،
وغداً أو بعد غد سيحولها هامر إلى حقيقة ،
وقد ابتدأ فعلا شعور بالاستياء هناك ، فلقد
سمعت بعض الناس يقول : إنه إن كان لهذه
الشائعة أساس فقد عولوا على أن ينسحبوا
من المشروع .

برنك : مستحيل !

هيلمار : وما وجه الاستحالة ؟ ولماذا تظن هؤلاء الخلائق ، وهم فى تفكيرهم لا يختلفون عن تفكير أصحاب المتاجر ، لماذا تظن أنهم يعطفون على مشروعك ؟ ألا تشعر أنهم شموا رائحة ما ، هم أنفسهم ؟

برنك : مستحيل ، أؤكد لك أن هذا مستحيل ، فهناك على الأقل روح الصالح العام فى مجتمعنا الصغير ..

هيلمار : هنا ؟ أنت متفائل جدا ، وتقيس الناس بنفسك ولكنى ، وأنا طبعاً الرقيب الثاقب النظر ... ما من أحد هنا غيرنا نحن طبعاً ، ما من أحد يهتم برفع راية مثالية ، خفاقة (يرجع إلى الوراء) أوه هاهم أولاء مقبلون !

برنك : من ؟

هيلمار : الأمريكان (ينظر إلى الخارج جهة اليمين) ترى من معهما يا إله السموات ، أخشى أن يكون قائد « الفتاة الهندية » !

برنك : وماذا يريدان منه ؟

هيلمار : إن الطيور على أشكالها تقع ، يقولون إنه كان يوما ما من القراصنة ، أو من تجار العبيد ، ومن أدرانا بما كان يعمله هذان الأمركيان ،

طوال تلك السنين .

برنك : أقول إنه ليس من العدل أن نظن فيهما مثل هذا الظن .

هيلمار : نعم ، ولكنك رجل متفائل ، إنهما مقبلان علينا فجأة ، مرة أخرى ، ولهذا سأبتعد عن هنا قبل أن يصبح ابتعادى مستحيلا (يتجه نحو الباب الذى إلى اليسار) .

(تدخل لونا من جهة اليمين)

لونا : أهلا ، هيلمار . هل يدفعك حضورى إلى الخارج؟

هيلمار : لا أبدا ، كنت على عجل ، أردت أن أقول كلمة لبيتى (يذهب إلى الغرفة التى إلى اليسار)

برنك : (بعد لحظة صمت) والآن يا لونا ؟

لونا : والآن .

برنك : اليوم ، ما رأيك فى اليوم ؟

لونا : كما كان بالأمس ، كذب ، ثم كذب .

برنك : على أن أشرح هذا ، أين ذهب يوهان ؟

لونا : سيأتى ، كان عليه أن يتحدث مع شخص عن موضوع ما ؟

برنك : أرجو أن توقنى ، بعدما سمعته بالأمس ، أن مكانتى كلها ستضيع إن ظهرت الحقيقة .

لونا : على يقين من هذا .

برنك : ومن الواضح طبعاً ، أننى لم تكن لى يد فى تلك الجريمة التى كثر الكلام عليها .

لونا : هذا أمر يمكن التسليم به ولكن من هو اللص ؟ من الذى سرق المال .

برنك : لم يكن هناك أى لص ؟ ولم يسرق أى مال ولم يضع قرش واحد .

لونا : ماذا ؟

برنك : ولا قرش واحد .

لونا : ولكن هذه شائعة ؟ كيف أشيع عن يوهان ، أنه . . . ؟

برنك : يبدو يا لونا أننى أستطيع الحديث إليك بطريقة لا أتحدث بها إلا أى شخص آخر ولن أخفى عنك شيئا لقد اشتركت فى نشر هذه الشائعة .

لونا : أنت ؟ هل سمحت لنفسك بأن تفعل به هذا بعد أن تحمل هو بالنيابة عنك ...

برنك : يجب عليك ألا تقسى علىّ فى اللوم قبل أن تذكرى ظروفى عندئذ ، ولقد شرحت لك ذلك بالأمس لقد عدت من باريس ، ووجدت أن أمى قد ارتبطت ارتباطات مالية كلها رعونة ، وتراكم الفشل من كل حدب وصوب ، وزاد الطين بلة ، وتوالت المصائب

علينا بمختلف أنواعها ، وكان بيتنا على حافة الهاوية ، فضاع منى الأمل والعقل ، وأنت تعرفين يا لوناأنه إنما أقبلت على هذا الموضوع الذى من أجله سافر يوهان لأرفه عن ذهنى المحطم .

لونا : عرفت .

برنك : و يمكنك أن تتخيلى صنوف الشائعات التى دارت هنا بعد سفره وسفرك ، كانوا يقولون : أن هذه ليست أولى حماقاته ، وقال بعضهم إنه أعطى المستر دورف قدراً كبيراً من المال لكى يسكته ويبتعد . وأكد آخرون « أن مسز دورف هى التى أخذت هذه الأموال من يوهان ، أضيفى إلى هذا يا لونا أنه لم يكن سراً أن بيتنا كان يجد صعوبة فى الوفاء بالتزاماته ، وكان من الطبيعى أن يجد الثرثارون صلة بين هاتين الشائعتين ، ولما أن أقامت هنا فقيرة معدمة ، قالوا : إن يوهان سرق الأموال ثم هاجر إلى أمريكا ، وضخمت الشائعات هذه المبالغ يوماً بعد يوم ..

لونا : وأنت يا كارستن ؟

برنك : وتعلقت أنا بهذه الشائعات ، تعلق الغريق بقطعة من الحطام .

لونا : إذن فأنت ساعدت على نشر هذه الشائعات ؟

برنك : بل أنا لم أكذبها ، فلقد بدأ دائنونا يهددوننا ، وكان لا بد لى أن أهدىء من روعهم ، وكان من الواجب ألا يشك أحد فى سلامة مركزنا المالى ، لقد حلت بنا نكبة موقتة ، وكل ما كنا فى حاجة إليه ، هو ألا يلاحقنا هؤلاء الدائنون ، وما عليهم إلا أن يصبروا علينا ، وسينال كل دائن حقه .

لونا : وهل نال كل حقه ؟

برنك : نعم يا لونا ، فلقد عملت تلك الشائعات على إنقاذ بيتنا ، وجعلتنى الرجل الذى ترينه الآن .

لونا : إذن فإن كذبة قد جعلتك الرجل الذى هو أنت الآن ؟

برنك : ومن الذى أضرت به ؟ فلقد صمم يوهان على أن يرحل ، ولن يعود .

لونا : إنك تسأل من الذى أضرت به ؟ أنظر إلى نفسك ألا ترى أن الكذب قد أضر بك ؟

برنك : بل أنظرى إلى أى شخص تختارينه ، تجدى أن تاريخه وماضيه بقعة سوداء يحاول أن يخفيها عن الناس .

لونا : وأنتم تدّعون أنكم أعمدة المجتمع ؟

برنك : لن يجد المجتمع من هو أفضل منا ليعتمد عليه .

لونا : وإذن فماذا يهمنا أن يعتمد المجتمع على شيء أو لا يعتمد ؟ ما هو المهم عندئذ ؟ الكذب والتضليل ولا شيء سواهما ، وها هو ذا أنت الرجل الأول في المدينـــة تعيش في بذخ وسعادة ، أنت ، أنت الذي وصمْت بريئاً بالإجرام .

برنك : ألا تظنين أني أحس بوخز ذلك الألم الذي سببته له ؟ أوَ لا تحسبين أني مستعد لأن أصلح ما افسدت ؟

لونا : كيف ؟ هل نعلنها على الملأ حقاً مدوياً ؟

برنك : أو تطلبين ذلك ؟

لونا : وماذا سوى الحق يصلح ما أفسدت ؟

برنك : إنني ثريٌّ يا لونا، وليوهان أن يطلب مايشاء.

لونا : إذن قدِّم له المال ، واسمع ما يجيبك به .

برنك : أتعرفين نواياه ؟

لونا : لا . لا أعرف ، فلقد لاحظت عليه الصمت منذ أمس ، كأن موضوعه الأخير قد خلق منه رجلاً كامل الرجولة .

برنك : عليَّ أن أتحدث معه .

لونا : ها هو ذا آت .

(يدخل يوهان من اليمين) .

برنك : (وهو يذهب إليه) .

يوهان : (يبتعد عنه) لا ، دعني وشأني ، لقد وعدتك بالأمس ألا أفتح فمى ..

برنك : فعلا لقد وعدت .

يوهان : ولكن لم أكن أعرف عندئذ ..

برنك : بل دعني أقل كلمتين لأوضح لك الموقف يا يوهان .

يوهان : لا داعى لذلك ، فأنا أستطيع معرفة الموقف جيداً كانت المنشأة فى حرج وكنت أنا خارج القطر وكان اسمى وسمعتى بين يديك .. وأنا لا ألومك كثيراً ، فلقد كنا صغاراً ولم نتحمل مسئولية فى ذلك الوقت ، أما الآن فأنا محتاج إلى الحق وعليك أن تقوله .

برنك : وأنا الآن فى حاجة ماسة إلى ثقة الناس ، ولذلك لا يمكننى أن أقول شيئاً .

يوهان : الواقع أنى لست مهتما بتلك الأوهام التى كنت تنشرها عنى ، ولكن عليك أن تتحمل مسئولية الموضوع الآخر ، وستكون دينا دورف زوجتى ، وفى نيتى أن أقيم هنا ... هنا فى هذه المدينة وأبنى بيتى معها .

لونا : أتريد أن تفعل ذلك ؟

برنك : مع دينا ؟ زوجة لك هنا ! فى هذه المدينة ؟

يوهان : نعم هنا ، سأقيم هنا أتحدى هؤلاء الأفاكين النمامين ، ولكى تقبلنى زوجاً لها فعليك أولاً أن تطلق سراحى .

برنك : ولكن هل فكرت فى أن اعترافى بأحد هذين الأمرين يعنى اعترافى بالآخر أيضاً ؟ ربما قلت أن فى استطاعتى نفى تهمة الخيانة وذلك من واقع دفاتر الحسابات ، ولكنى لا أستطيع لأن تلك الدفاتر لم تكن دقيقة فى تلك الأيام ، وهب أننى استطعت فماذا تفيد من ذلك ؟ ألا تظن أنى سأبدو أننى رجل يحتمى بالكذب وينقذ به نفسه، ولم يحاول طول هذه الخمسة عشر عاماً أن يوقف تيار هـــذا الكذب ، وما ترتب عليه . إنك لم تعد تعرف مجتمعنا بعد ، وإلا لعرفت أن ذلك معناه القضاء على .

يوهان : كل الذى أعرفه ، هو أننى سأتزوج دينا ابنة مسز دورف ، وسأعيش معها فى هذه المدينة .

برنك : (وهو يمسح العرق من جبينه) إذن فاصغ إلى يا يوهان ، وأنت أيضا يالونا ، إن وضعى فى هذه

الآونة ليس عادياً ، بل هو وضع من شأنه أن يتحطم إذا ماضر بتمونى هذه الضربة ، ولن أتحطم أنا وحدى ، بل سيتحطم معى مستقبل ذلك المجتمع العظيم السعيد الذى هو مهد طفولتكم .

يوهان : وإذا أنا لم أضرب هذه الضربة تحطمت سعادتى المستقبلة :

لونا : يا كارستن .

برنك : إذن استمعا . إن هذا كله مرتبط بمشروع السكة الحديدية ، وليس هذا المشروع من البساطة كما تتصورون ... وقد سمعتما بالطبع فى العام الماضى عن مشروع الخط الحديدى الداخلى وعن ذلك التأييد العظيم الذى استقبل به فى هذه البلدة ، وفى المدن المجاورة ، وفى الصحافة بنوع خاص ، ولكنى منعت هذا المشروع الساحلى لأنه كان يضر بتجارتى التى تنقلها البواخر على هذا الساحل .

لونا : وهل لك مصلحة فى الشركات الملاحية الساحلية ؟

برنك : طبعاً ! ومع هذا لم يجرؤ أحد أن يشك فيما قد ، ذلك لأن سـمعتى كانت من القوة بحيث تغطى مقاصدى ، وتحمينا ، ومهما

يكن من أسر فقد كان فى مقدورى أن أتحمل الخسارة ، لكن البلدة لم يكن فى مقدورها أن تتحملها ، لذلك قُرر إقامة الخط الداخلى ، وعند ما تم ذلك أصبحت على يقين أنه فى الإمكان مد خط فرعى إلى هذه المدينة .

لونا : ولكن يا كرستن ماذا تعنى بقولك « دون المساس بحق أحد » .

برنك : هل سمعتما بتلك الصفقة الكبيرة ، صفقة شراء تلك الأراضى ، وما بها من الغابات والمناجم والقوى المائية ؟

يوهان : نعم ، وأظن أن شركة أجنبية قد . . . .

برنك : إن تلك الغابات والمناجم والقوى المائية بوضعها الحالى لا تساوى شيئاً فى الواقع عند أصحابها المشتتين ، ولذلك فقد باعوها رخيصة نسبيا ، ولو أن الإنسان انتظر إلى ما بعــد مناقشة مشروع الخط الداخلى لطلب أصحابها عندئذ أثماناً خيالية .

لونا : فعلا ، ولكن ماذا تقصد بذلك ؟

برنك : وهنا يحدث شيء يمكن تفسيره بمعان مختلفة ، شيء لا يقدم عليه فى هذا المجتمع إلا الرجل الذى لا غبار عليه ، ذو السمعة الطيبة النقية الطاهرة .

لونا : وماذا بعدئذ ؟

برنك : والذى اشترى هذا كله هو أنا .

لونا : أنت ؟

يوهان : لحسابك الخاص ؟

برنك : لحسابى الخاص ، وإذا مد الخط الساحلى فمعناه أننى صاحب الملايين ، وإذا لم يمد حل بى الخراب .

لونا : إن ذلك يا كارستن مخاطرة .

برنك : لقد خاطرت بكل شىء أملكه فى سبيلها

لونا : لست أفكر فى أموالك ، ولكن فيما قد يحدث إذا ما ظهر للناس أنك .. ..

برنك : نعم هذا بيت القصيد ، إن السمعة الطيبة التى لا غبار عليها ، والتى لى حتى الآن ، لتكفل لى أخذ هذه العملية كلها على عاتقى وتنفيذها ، وعندئذ أقول لأهل بلدتى « أنظروا لقد ضحيت بمجهودى وخاطرت بمالى فى سبيل الصالح العام لهذا المجتمع .. » .

لونا : لهذا المجتمع .

برنك : نعم ولن يرتاب فيما أقصد إليه .

لونا : ولكن بالرغم من ذلك فهناك آخرون يعملون فى وضح النهار بلا دوافع خفية ، وبلا تحفظ

برنك : من ؟

لونا : رومل ، وفيجلاند ، وساند ستاد طبعاً .

برنك : لقد أشركتهم فى العملية لضمان تأييدهم .

لونا : وهل قبلوا ؟

برنك : طبعاً ، على شرط أن يحصلوا على خمس الأرباح توزع فيما بينهم .

لونا : أهذه أعمدة المجتمع ؟

برنك : أو ليس المجتمع نفسه هو الذى يجبرنا على سلوك هذه الطرق الملتوية ؟ ماذا كان يحدث لو أننى لم أحتفظ بذلك سراً ؟ إذن لأقبل الجميع على حشر أنفسهم فى المشروع ولقسموه وبعثروه وأساءوا تصريف شئونه وأفسدوه عن آخره . ليس فى هذا البلد شخص واحد يفهم كيف يدير هذه العملية التى ستكون فى المستقبل عظيمة إلا أنا وليس فى هذا البلد من له من الكفاية ما يستطيع به إدارة المشروعات الكبرى إلا نحن الذين ننحدر من أصل أجنبي ومن أجل هذا أشعر فى هذه العملية بالذات براحة ضميرى ، إن هذه الأراضى وما بها لم تصبح ذات فائدة دائمة ولن تجلب العيش للخلائق الكثيرين الذين

يعيشون عليها إلا إذا كانت بين يدى .

لونا : إنك على حق فيما تقول يا كارستن .

يوهان : ولكنى لا أعرف أولئك الخلائق الكثيرين ، وسعادتى فى مهب الريح ؟

برنك : وسعادة المجتمع الذى ولدت فيه فى مهب الريح أيضاً ، وإن ظهر شيء يلقى ظلا على سلوكى ففى الماضى ضم جميع المعارضين لى صفوفهم وهاجمونى ، وأنت تعلمين أن أية غلطة يرتكبها المرء فى شبابه مهما صغرت لا تمحى أبداً فى مجتمعنا ، وسيذهب الناس يقلبون صحائف حياتى فيما بعد ، ويظهرون كثيراً من الحوادث التافهة الصغيرة ، يقرأونها ويفسرونها فى ضوء ما كشفوه حتى أنوء بعب الإشاعات والأراجيف ، فلا أجد بداً من الإنسحاب من مشروع السكك الحديدية ؛ فإذا انسحبت منه تحطم كل شيء . وعندئذ أفقد فى لمح البصر ثروتى ، ومكانتى ، بوصفى مواطنا صالحا .

لونا : عليك يا يوهان بعد الذى سمعته ، أن تذهب ولا تفتح فمك بشيء .

برنك : نعم ، نعم هذا واجب عليك يا يوهان .

يوهان : إذن فسأرحل ولن أفتح فمى ، ولكنى سأعود مرة أخرى وسأتكلم .

برنك : بل ابق هناك يا يوهان ولا تقل شيئاً ، ويسرنى أن أكون شريكا لك .

يوهان : بل احتفظ بأموالك ، ورد إلى إسمى وسمعتى

برنك : وبذلك أضحى باسمى وبسمعتى

يوهان : هذا متروك لك وللمجتمع تسوونه فيما بينكم ولكن على أن أنال هذه الفتاة ، سأتزوجها وأعيش معهـــا ولهذا سأبحر غداً على ظهر « الفتاة الهندية » .

برنك : الفتاة الهندية ؟

يوهان : نعم ، لقد وعدنى قبطانها بمكان بها ، وفى أمريكا سأبيع مزرعتى وأسوى أعمالى وأصفيها ثم أعود بعد شهرين إلى هنا

برنك : وعندئذ تتكلم ؟

يوهان : وعندئذ يحمل اللوم صاحبه

برنك : أنسيت أننى وقتئذ سألام على شىء لا لوم علىّ فيه ؟

يوهان : من الذى أفاد منذ خمسة عشر عاماً من تلك الشائعات المخزية ؟

برنك : ليكن فى علمك أننى سأفعل كل شىء ،

دفاعا عن نفسى ، سأنكر كل شىء ، كل
شىء وأقول : إنها مؤامرة مدبرة لى ،
وإنها انتقام منى ، وإنك ماجئت إلا لتحصل
منى على مال

لونا : يا للعار يا كارتسن !

برنك : سأفعل مايفعله اليائس ، وأعلم أن الذى
أدافع عنه هو حياتى ، سأنكر كل شىء ،
كل شىء !

يوهان : لا تنسى أننى لازلت محتفظا بخطابين لك
وجدتهما ضمن أوراقى ، وقرأتهما من أولهما
إلى آخرهما ، فى هذا الصباح ، وهما واضحان
كل الوضوح

برنك : وستنشرهما على الملأ ؟

يوهان : إذا لزم الأمر

برنك : وستكون هنا مرة أخرى بعد شهرين

يوهان : أرجو ذلك ، إن الريح مواتية وسأصل إلى
نيويورك بعد ثلاثة أسابيع ، هذا إن لم تغرق
« القتاة الهندية »

برنك : (فزعا) تغرق ! ولماذا تغرق الفتاة الهندية ؟

يوهان : لست أعرف أنا أيضاً لِم تغرق ؟

برنك : (لنفسه بصوت خافت لا يكاد يسمع) تغرق ؟

يوهان : والآن قد عرفت يابرنك ماينجب أن تتوقعه
عليك أن تفكر فى الأمر فى ضوء ماقلت لك
إلى اللقاء سلامى إلى بيتى رغم أنها لم تعاملنى
معاملة الأخت لأخيها ، ولكنى سأقابل مرتا
بنفسى ، وعليها أن تخبردينا بكل شىء ،
وعليها أن تعدنى (يخرج من أبعد باب جهة
اليسار .

برنك : (وهو ينظر أمامه) الفتاة الهندية ؟ (بسرعة)
لونا عليك أن تمنعى ذلك .

لونا : أنت نفسك ترى ياكرستن لم تعد لى سلطة عليه
(تخرج لونا وراء يوهان إلى الحجرة التى جهة
اليسار) .

برنك : (مضطربا) تغرق ؟

(يدخل أون من اليمين) .

أون : عن إذن سيدى ، لحظة واحدة .

برنك : (يلتفت إليه مغضبا) ماذا تريد ؟

أون : أتسمح لى بسؤال يا سيدى ؟

برنك : تفضل بسرعة ، ما السؤال ؟

أون : هل قررت ياسيدى ، هل قررت قرار الارجعة
فيه أن تفصلنى من عملى إن لم تبحر « الفتاة
الهندية » غداً ؟

برنك : فيم السؤال الآن ؟ « الفتاة الهندية » غداً تكون معدة للإبحار .

أون : صحيح ستكون معدة ولكن هب أنها لم تكن معدة هل تعنى بذلك فصلى ؟

برنك : مامعنى هذا السؤال السخيف ؟

أون : إنما أنا شديد الرغبة فى معرفة إجابتك ! أرجوك أن تجيب يا سيدى . هل أفصل ؟

برنك : ألم تعهدنى أحفظ وعدى وأنفذ كلمتى .

أون : معنى هذا أننى إن لم تبحر تلك السفينة غداً سأفقد مكانتى فى بيتى ، وبين أهلى ، سأفقد نفوذى على العمال ، وسأفقد كل فرصة لمساعدة الفقراء والمساكين فى هذا المجتمع .

برنك : أون ! لقد انتهينا من هذا الموضوع .

أون : إذن يجب أن تبحر « الفتاة الهندية » (سكون قصير) .

برنك : اسمع إلىّ ، ليس فى وسعى أن أراقب كل شئ وبذلك فلست مسؤلا عن كل شئ .
أمستعد أنت أن تؤكد لى أن الإصلاحات أجريت على الوجه الأكمل ؟

أون : لقد أمهلتنى وقتاً قصيرا جدا ياسيدى .

برنك : ولكنك مستعد للقول بأن الإصلاحات كافية ؟

أون : الوقت صيف والرياح معتدلة (سكون آخر) .

برنك : ألديك أقوال أخرى ؟

أون : لا أعرف شيئا آخر ياسيدى .

برنك : إذن فلتبحر « الفتاة الهندية » .

أون : غدا ؟

برنك : طبعاً !

أون : حسن ، حسن ، (ينحنى ثم يذهب) .

(يقف برنك لحظة فى حيرة وشك ، ثم يجرى نحو الباب كأنه يريد أن يسترجع أون غير أنه يقف لحظة متردداً ويده على مقبض الباب ، فى هذه اللحظة يفتح الباب من الخارج ويدخل كراب)

كراب : (بصوت منخفض) آه ، لقد كان هنا ، هل اعترف ؟

برنك : هل اكتشف أى شىء ؟

كراب : وهل ثمة حاجة إلى الكشف ؟ ألم تر قلبه الأسود تنم عليه عيناه يا برنك ؟

برنك : أوه .. هذا سخف ، إن هذه الأشياء لا تظهر فى العينين ، والذى أسألك عنه هو : هل اكتشفت شيئا ما ؟

كراب : لم أتمكن من الوصول هناك ، كان الوقت متأخراً

وكانو يسحبون السفينة من الحوض ، ولكن هذه السرعة تدل بوضوح على أن . .

برنك : لا تدل على شئ على الإطلاق ، إذن فقد فتشوا السفينة .

كراب : نعم فتشوها .

برنك : وماذا تريد بعد ئذ ، وطبيعى أنهم لم يجدوا ما يشكون منه .

كراب : إنك لتعرف جيدا يابرنك كيف يجرى هذا التفتيش ، وبخاصة فى حوض يستمتع بسمعة طيبة مثل سمعتنا ؟

برنك : على أية حال ، إن إسمى كفيل أن يغطى عيوبها .

كراب : ولكن يامستر برنك ألم تعرف من نظرة أون ؟

برنك : لقد أكد لى أون كل خير .

كراب : وأنا أؤكد لك أنى واثق .

برنك : ما هذا كله يا كراب ؟ أعرف جيدا أنك تحمل له ضغينة ، ولكن إذا أردت أن تنتقم منه فعليك أن تنتهز فرصة أخرى غير هذه ، فأنت تعرف جيداً ما لسفر « الفتاة الهندية » غداً من أهمية بالنسبة لى ، أو على الأصح للشركة .

كراب : الأمر متروك لك ، لتبحر غدا ولكن إذا حدث

أننا سمعنا أن تلك السفينة .. .. !

(يدخل فيجلاند من اليمين) .

فيجلاند : عِم صباحا أيها القنصل ، أيسمح وقتك بدقيقة واحدة ؟

برنك : طوع أمرك يا مستر فيجلاند .

فيجلاند : ما حضرت إلا لأسألك هذا السؤال « هل لا توافق على إبحار النخلة غدا » .

برنك : ستسافر ، لقد انتهت هذه المسألة .

فيجلاند : ولكن قبطانها يقول : الإشارات المنذرة بالعواصف قد رفعت .

كراب : ولقد انخفض البارومتر انخفاضاً كبيرا منذ صباح ذلك اليوم .

برنك : هل انخفض ؟ وهل ثمة عاصفة مقبلة ؟

فيجلاند : ليست عاصفة بالمعنى المعروف ، إنما هى نسائم شديدة ، وعلى أية حال ليست رياحا قوية ، بلى على العكس .

برنك : وإذن فماذا ترى ؟

فيجلاند : رأيي : هو كما قلت للقبطان ، إن النخلة فى يد العناية الإلهية . أضف إلى هـــذا أنها لا تعبر سوى بحر الشمال أولا ، ثم إن أجور الشحن غالية الآن ، وبذلك .. ..

برنك : فعلاً ، وسنعانى خسارة فادحة إن تأخرنا .

فيجلاند : الواقع أن المركب سليمة جداً . ومؤمن عليها التأمين الكامل ، ولكن المخاطرة فعلا فى إبحار « الفتاة الهندية » .

برنك : ماذا تعنى ؟

فيجلاند : ستبحر هى غداً أيضاً .

برنك : فعلا ، أصحابها استعجلونا ، أضف إلى هذا ....

فيجلاند : إذا جرؤت هذه السفينة القديمة على الخروج إلى البحر وعليها أولئك البحارة أيضاً — فإن من العار إذا لم .. ..

برنك : حسن إذن ، أوراقها معك على ما أظن .

فيجلاند : نعم ها هى ذى .

برنك : وإذن أرجو أن تذهب مع كراب .

كراب : تفضل معى ، ولن نلبث حتى نعالج هذه المسألة .

فيجلاند : شكراً يا مستر برنك ، وستترك النتيجة فى يد العناية الإلهية .

(يخرج من باب إلى أقرب غرفة على اليسار . يدخل رورلاند من الحديقة) .

رورلاند : آه مستر برنك ، هل أجدك فعلا فى هذا الوقت من النهار فى منزلك ؟

برنك : (وهو ذاهل) كما ترى .

رورلاند : الواقع أننى أتيت لأقابل زوجتك ، أظن أنها
في حاجة إلى كلمة مواساة .

برنك : أظن أنها فعلا فى حاجة إليها ، ولكنى أريد
أيضاً أن أتحدث إليك لحظة .

رورلاند : بكل سرور يا مستر برنك ، ولكنى أراك
مشغول البال شاحب اللون .

برنك : صحيح ؟ أنا ؟ ماذا تتوقع غير ذلك ؟ وهذه
الآلام كلها تتراكم فوق رأسى فى هذه الساعة ،
شركاتى وأعمالى وهذا المشروع الجديد ،
مشروع السكة الحديدية . قل لى شيئاً يا مستر
رورلاند ، دعنى أسألك سؤالاً .

رورلاند : بكل سرور يا مستر برنك .

برنك : لقد لاحت لى فكرة : إذا كان شخص
ما يرشك أن يقوم بمشروع كبير المدى واسع
النطاق ... مشروع يكفل الخير لآلاف من
الناس وكان هذا المشروع يتطلب تضحية
شخص واحد من الناس ؟

رورلاند : ماذا تعنى ؟

برنك : إليك هذا المثل ، رجل يفكر فى إقامة مصنع
كبير ، وهو يعلم جيداً عن طريق خبراته
الواسعة — أن العمل الذى يقوم به هذا المصنع

سيقضى إن عاجلا وإن آجـــلا — على حياة فردٍ ما .

رورلاند : من المحتمل جداً .

برنك : أو مثلُ رجلٍ يتولى شئون المناجم ، إنه يستخدم الشبان فى زهرة شبابهم والآباء يأخذهم من أبنائهم ، هل من المؤكد أن بعض هؤلاء لن يعودوا إلى بيوتهم أحياء ؟

رورلاند : فعلا ، لسوء الحظ ، هذا من المتوقع .

برنك : جميل جداً ، إن رجلا مثل هذا يعرف جيداً أن المشروع الذى يتولاه سيقضى حتما على حياة بعض الأفراد ، ولكنه فى الوقت نفسه يؤدى إلى الصالح العام. فهو فى نظير كل حياة يقضى عليها يؤدى إلى الخير للمئات والآلاف .

رورلاند : إنك الآن تفكر فى مشروع السكة الحديدية ، وأعمال الحفر الخطيرة ، ونسف الصخور ، وما إلى ذلك .

برنك : فعلا ، أفكر فى مشروع السكة الحديدية وما يترتب على قيامه من إنشاء المصانع وتشغيل المناجم ، ولكن ألا تظن أنه على أية حال ..؟

رورلاند : يا عزيزى القنصل إن لك ضميراً حيًّا فوق ما يجب أو تكاد تكون كذلك ، الآ ترى معى أن

تترك الامر للعناية الالهية .

برنك : نعم . نعم ، العناية الالهية بلاشك .

رورلاند : إذن لا داعى لأن يؤنبك ضميرك ، يمكنك بناء السكك الحديدية وأنت مرتاح البال .

برنك : حقاً ، والآن إليك هذه الحالة الخاصة . افرض أن الخط الحديدى لا يمكن بناوءه إلا بعد استخدام بعض المفرقعـــات لتحطيم بعض الصخور ، ولنفرض أن هذا لا يتم إلا بأن يضحى عامل بنفسه وهو يشعل الديناميت فى الصخور ، وأن على المهندس أن يرسل عاملا ليقوم بهذا العمل .

رورلاند : هيه !

برنك : اعلم أنك ستقول : إنه لمن دواعى البطولة أن يتقدم المهندس نفسه لإشعال الديناميت ، ولكن الناس فى الواقع لا يسلكون هذا المسلك ، ولهذا فإن على المهندس أن يضحى بأحد العمال.

رورلاند : إن واحداً من رجالنا المهندسين لن يجروء أن يفعل هذا .

برنك : إن واحداً من المهندسين فى البلاد الكبيرة لن يتردد فى فعله .

رورلاند : فى البلاد الكبيرة ؟ هذا ما أعتقده ، أعرف

أن فى البلاد الفاسدة المنحلة العديمة المبادىء ...

برنك : أوه ، ولكن هناك ما يستحق الثناء فى هذه البلاد الكبيرة .

رورلاند : أتقول ذلك ، أنت ؛ أنت الذى .. .. ؟

برنك : إن المجتمعـــات الكبيرة يا سيدى مليئـــة بالإمكانيات والقدرات ، إنهم يطرقون مشروعاً نافعاً ، ولهم من الشجاعة ما يمكنهم أن يضحوا بشىء ما فى سبيل الهدف العظيم ؛ أما هنا فنحن مقيدون ومكبلون باعتبارات ومبادىء تافهة لا قيمة لها .

رورلاند : وهل حياة الناس تافهة لا قيمة لها ؟

برنك : عندما تصبح حياة هذا الإنسان خطراً يهدد مصالح الآلاف .

رورلاند : ولكنك ياعزيزى المستر برنك تفترض المستحيل ، والواقع أننى لا أستطيع اليوم أن أفهمك ، فأنت تشير إلى المجتمعات الكبيرة ، وماذا تساوى الحياة الإنسانية هناك ؟ إن المعايير هناك لا تعترف بحياة الإنسان ، بل بحياة رأس المال . وأظن يامستر برنك أننا هنا ننظر للحياة من ناحية أخلاقية مختلفة ، خذ مثل رجالنا الكرام أصحاب شركات السفن . هل

يمكنك أن تذكر لى اسما واحداً منهم يضحى من أجل الربح والمال ، بحياة فرد من الأفراد ؟ ثم أنظر إلى الأخساء من أصحاب السفن هناك ، فى تلك البلاد الكبيرة وانظر إلى سفنهم التى يرسلونها واحدة بعد واحدة وهى غير خليقة بالسير فى البحار .

برنك : أنا لا أتحدث عن السفن غير الخليقة بالسير فى البحار .

رولاند : ولكنى أنا أتحدث عنها .

برنك : نعم ، ولكن ماذا تقصد ؟ إن هـــذا المثل لا علاقة له بالموضوع ، آه من تلك الاعتبارات التافهة . هب أن أحداً من قواد جيشنا سار برجاله تحت وابل البارود فقتلوا جميعهم ، أتعرف ماذا يحدث له ؟ إنه لن ينام عدة ليال ، ولكن هذا لن يحدث فى المجتمعات الأخرى ، ويمكنك أن تسمع ما يقوله عن هذا صاحبنا . .

رورلاند : صاحبنا ، من ؟ الأمريكى ؟

برنك : نعم ، يمكنك أن تسمع منـــه كيف أن الأمريكيين . .

رولاند : أما زال موجوداً هنـــا ؟ ولم تخبرنى بذلك ؟ سأذهب حالا .

برنك : لا فائدة فى ذهابك ، بل لا يمكنك التفاهم معه .

رورلاند : سترى ذلك حالا ، ها هو ذا آت .

(يدخل يوهان من الغرفة التى إلى اليسار) .

يوهان : (وهو يتحدث إلى شخص خلفه من خلال الباب المفتوح) حسن يا دينا لنترك المسألة عند هذا الحد ، ولكنى لن أتركك تسافرين معى ، بل سأعود إليك ، وستسوى الأمور بيننا وقتئذ .

رورلاند : اسمح لى أن أسألك ، ما الذى تشير إليه ، وماذا تريد ؟

يوهان : إن رغبتى هى الزواج بتلك الفتاة التى سودت سمعتى ، ولطخت سمعتى ، أمامها بالأمس .

رورلاند : أنت ، هل تتصور أنك .. .. ؟

يوهان : أريد أن أتزوجها .

رورلاند : إذن ، إذا كان الأمر كذلك (يذهب إلى البـــاب المفتوح قليلا) يا مسز برنك هل تتفضلين بأن تكونى شاهدة ، وأنت أيضاً يا مس مارتا ، ودعى دينا تحضر أيضاً (ثم يرى لوناً) آه ، هل أنت أيضاً هنا ؟

لونا : (عند الباب) وأنا أيضاً هل أحضر ؟

رورلاند : أكبر عدد ممكن ، كلما كثر العدد كان ذلك خيراً

برنك : ماذا تريد أن تفعل ؟

مسز برنك : إنى لا أستطيع منعه ، وأوافق على طلبه وأنا راضية كل الرضا (تخرج الآنسة هسل ، ومسز برنك ، والآنسة برنك ، ودينا وهلمار من الحجرة) .

رورلاند : أما أنا فسأمنعه يا مسز برنك ، دينا ، إنك فتاة عديمة التفكير ، ولكنى لا ألومك كثيراً فلقد عشت هنا طويلا دون أن تكون لك تلك الدعامة الأخلاقية التى تحتاجين إليها لتهبك الثبات ، بل ألوم أنا نفسى لتأخيرى عن مدك بهذه الدعامة .

دينا : لا داعى أن تقول شيئاً الآن !

مسز برنك : يقول ماذا ؟

رورلاند : إن هذه هى الساعة التى يجب أن أتحدث فيها يا دينا ، بالرغم من أن سلوكك اليوم والأمس قد عقّد الأمور علىّ إلى أقصى حد ، فإن من الواجب علىّ التضحية بكل الاعتبارات الأخرى فى سبيل إنقاذك . أتذكرين الوعد الذى وعدتك ، وتذكرين أيضاً ما وعدت أن تجيبينى به عند ما تسمح لك الظروف ؟ والآن يجب علىّ ألا أتردد

مطلقا ، وبذلك (موجها الكلام ليوهان)
أقول : إن هذه الفتاة الصغيرة تلك التى
تقتفى أثرها ..... قد وعدتنى بالزواج .

مسز برنك : ماذا تقول ؟

برنك : دينا .

يوهان : هى ، وعدتك بالزو .... ؟

مارتا : لا ، لا ، يا دينا .

لونا : كذب وافتراء !

يوهان : دينا ، أصادق ذلك الرجل فيما يقول ؟

دينا : (بعد سكوت قصير) نعم .

رورلاند : أرجو أن يكون هذا الرد قد حطم كل أساليبك
فى الغواية ، وعليه فإن تلك الخطوة التى أقدمت
عليها لصالح دينا ونفعها ، سأعانها على الملأ
لأفراد هذا المجتمع كله ، وإنى لأرجو ، بل
أنا على يقين — أن هـــذا المجتمع لن يسئ
فهم قصدى ، والآن يا مسز برنك أظن أنه من
الأفضل أن نأخذها بعيداً عن هذا المكان ،
حتى يثوب إليها رشدها ، ويعود إليها هدوءها
واتزانها .

مسز برنك : نعم ، هيا بنا ، أوه يادينا يا لهذا المستقبل
الرائع .

(تأخذ دينا ، وتخرجان من جهة اليسار ومعهما رورلاند .)

مارتا : مع السلامة يا يوهان (تخرج) .

هيلمار : (عند باب الحديقة) علىّ أن أقول .. ..

لونا : (وقد تبعت دينا بعينيها) لا تيأس يا بنى ، سأبقى هنا ، وعينى على القس (تخرج من اليمين) .

برنك : والآن يا يوهان سوف لا تبحر على ظهر الفتاة الهندية .

هيلمار : بل إن تصميمى على السفر أكثر منه فى أى وقت مضى .

برنك : ولكن هل ستعود إلى هنا بعد ذلك ؟

هيلمار : نعم سأعود .

برنك : بعد كل هذا ؟ ماذا تظن أنك فاعل بعد هذا كله ؟

هيلمار : كى أنتقم لنفسى منكم جميعاً ، أحطم كل من يمكننى أن أحطمه .

(يخرج من اليمين . يجىء فيجلاند وكراب من غرفة برنك) .

فيجلاند : تفضل ، ها هى الأوراق جميعاً معدة ومرتبة يا مستر برنك .

برنك : جميل ، جميل جداً .

كراب : (بصوت منخفض) وبذلك انتهى قرارك إلى أن السفينة « الفتاة الهندية » ستبحر غداً .

برنك : لتبحر غداً .

(يدخل برنك إلى غرفته بينما يخرج فيجلاند وكراب من اليمين ، هيلمار على وشك أن يتبعهم ولكن فى هذه اللحظة يخرج أولاف رأسه من الباب الذى فى جهة اليسار)

أولاف : عمى ، عم هيلمار .

هيلمار : أهو أنت ؟ لماذا لا تجلس فى غرفتك فى الطابق العلوى ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أولاف : (يقترب بعض الخطوات) صه ، أتعرف آخر الأخبار يا عم هيلمار ؟

هيلمار : نعم أعرف اليوم أنك صفعت صفعة شديدة .

أولاف : (ينظر مهدداً إلى غرفة أبيه) لن يضربنى بعد اليوم ، ولكن هل تعرف أن العم يوهان سيسافر غداً مع الأمريكيين ؟

هيلمار : وما شأنك أنت وهذا ؟ عد إلى غرفتك .

أولاف : ربما ذهبت لاصطياد الجاسوس يا عمى .

هيلمار : هراء ، أنت أيها الجبان لا . . . .

أولاف : إذن سترى ، أصبر ، إن غداً لناظرة قريب ، غداً سترى .

هيلمار : أيها الأحمق الصغير !

(يخرج هيلمار من الحديقة . يعود أولاف مسرعاً إلى الغرفة ، ويغلق الباب عندما يرى كراب يدخل من اليمين) .

كراب : (يخطو نحو باب غرفة برنك ويفتحه قليلاً) آسف يا مستر برنك أن أعود مرة أخرى ، إن الجوينبيء بعاصفة شديدة (ينتظر قليلاً ولا يسمع جواباً) بالرغم من ذلك، هل تبحر « الفتاة الهندية » غداً ؟

برنك : (بعد فترة قصيرة يرد عليه برنك من داخل الحجرة) بالرغم من ذلك ستبحر « الفتاة الهندية » غداً .

(يغلق كراب الباب ويعــود مرة أخرى إلى اليمين) .

(ســتار)

الفصل الرابع

(حجرة الحديقة فى منزل برنك، وقد أزيلت منضدة التطريز ، الوقت بعد الظهر ، والجو عاصف ، مظلم ، ويزداد الظلام أثناء الفصل الثانى ، يضىء أحد الخدم الثريا ، وتدخل خادمتان بأصيص زهرة . والأنوار مضاءة ، وتضعان الأصيص على المنضدة وعلى المساند التى بجوار الجدران ، روملِ بملابس السهرة ورباط عنق أبيض وقفاز ، يقف فى الحجرة ويعطى تعليمات للخدم) .

روملِ : (مخاطباً الخدم) يعقوب ، اسمع ، أشعل شمعة وأطفىء الأخرى ، لا أحب أن يبدو الأمر فى مظهر الاحتفالات الكبرى ، بل أحب أن يبدوكأنه شىء جميل مفاجىء ، كل هذه الزهور ؟ لا بأس ، لا بأس إنها تبدو عادية... زهور كل يوم .

(يخرج برنك من غرفته) .

برنك : (عند الباب) ما معنى هذا كله ؟

روملِ : أوه ، لم أتوقع وجودك هنــا (للخدم)

انصرفوا الآن لحظة واحدة (يخرج رئيس الخدم (المنادى) والخادمتان من الباب الذى فى أقصى اليسار) .

برنك : (متقدماً من باب الغرفة) ولكن يا رومل ما معنى هذا كله ؟

رومل : معناه أن أعظم أوقات حياتك هى هـــذه اللحظة ، معناه أن البلدة كلها تخرج فى موكب لتكرم مواطنها الأكبر .

برنك : ما الذى تقوله ؟

رومل : احتفال ، وأعلام ، وموسيقى ، وكان من الواجب علينا أن نأتى بالمشاعل أيضاً ، ولكن الريح العاصفة لا تسمح بذلك ، وسيكون هناك صويخ طبعاً ، وسيبدو ذلك جميلاً ورائعاً عند ما يصل إلى الصحف .

برنك : اسمع يا رومل ، لا أريد شيئاً من هذا .

رومل : لقد فات الأوان ، وسيأتى الموكب بعد نصف ساعة .

برنك : ولكن لِمَ لَمْ تخبرنى بذلك من قبل ؟

رومل : لمجرد خوفى من اعتراضك ، ولكنى استشرت زوجتك وسمحت لى بعمل بعض الترتيبات وستعنى هى بمسألة المرطبات .. ..

برنك : (منصتاً) ما هذا الصوت ؟ هل أقبلوا ؟ إنى أسمع غناء .

رومل : (عند باب الحديقة) غناء ؟ .. لا ، إن هذا صوت الأمريكيين ، إنهم يسحبون الفتاة الهندية من الميناء .

برنك : يسحبون الفتاة الهندية ! .. من الميناء ! نعم ..... لا .. .. لا يمكننى هذه الليلة يا رومل ، لست على ما يرام .

رومل : فعلا يبدو عليك الإرهاق ، ولكن عليك أن تتماسك وتواجه الموقف ، نعم بالله ما عليك إلا أن تتماسك وتواجه الموقف ، نعم بالله ماعليك إلا أن تتمالك نفسك، إن ساند ستاد وفيجلاند وأنا ، نحن جميعاً نعلق أكبر الأمل على تنفيذ هذه الخطة ، سنحطم منافسينا وسنسحقهم بهذا التأييد الشعبى الرائع ، إن الشائعات تحركها الألسنة فى المدينة ، ولا بد من تصريح منك عن شراء هذه الأملاك ، عليك أن تصرح فى هذه الليلة بالذات بين الغناء ، والخطب ، وقرع الكؤوس فى مظاهر الفرح والاحتفالات الكبرى بنبأ تلك المخاطرة التى أقدمت عليها لخير المجتمع ، وفى هذا المرح والفرح والتهليل، كما قلت لك، يستطيع

الإنسان أن يوجه الشعب إلى العمل الكثير المدهش .

برنك : نعم ، فعلا ، فعلا .

رومل : وبخاصة إذا كان الأمر دقيقاً حساساً ، إن اسمك والحمد لله جـــدير أن يحمل هذا المشروع يا برنك ، ولكن علينا أن نرتب أمورنا الآن أولا ، لقد كتب هيلمار تونسون أغنية فى مديحك ، وهى تبدأ بداية رائعة بهذه الكلمات ؟ ارفعوا علم المثالية خفاقاً عالياً ، وقد اختير رورلاند لإلقاء خطبة الاحتفال ، وعليك أيضاً أن ترد عليها بطبيعة الحال .

برنك : لايمكننى أن أقوم بذلك فى هذه الليلة ، أتستطيع أن تتحدث أنت بالنيابة عنى ؟

رومل : مستحيل أن أنوب عنك رغم أننى أتمنى هذا ذلك لأن خطبة رورلاند سيكون معظمها موجّهاً لك بالذات ، وقد يكون فيها بعض إشارات لنا . وقد بينت ذلك لفيجلاند وسند ستاد ، وقررنا أن تتقدم أنت وتشرب نخب رخاء المجتمع ورفاهيته ، ثم يتحدث فيجلاند عن التآلف بين طبقات المجتمع ، ثم يأتى بعد ذلك دور ساندستاد ويعبر عن أن

المشروع الجديد لن يؤثر فى الأسس الأخلاقية التى يقوم عليها مجتمعنا بينما أفكارنا فى إلقاء بعض الكلمات المختارة فى مديح النساء اللاتى لن تضيع جهودهن المتواضعة ، ولكنى أراك منصرفاً عن حديثى إليك .

برنك : لا بل أنا منصت إليك ، هل تظن أن البحر هائج .

رومل : آه . إنك مشغول البال بأمر « النخلة » ولكنها مؤمن عليها تأمينا كاملا .

برنك : نعم مؤمن عليها ، ولكن ..

رومل : وقد أصلحت تماماً وهذا بيت القصيد

برنك : وإذا فرضنا أن شيئاً لم يكن فى الحسبان قد حدث فإن هذا لايعنى حتما أنه ستحدث خسارة فى الأرواح ، قد تغرق السفينة والبضائع وقد يفقد الركاب بضائعهم وأوراقهم

رومل : وما قيمة البضائع أو أوراق الركاب .

برنك : أليس لأوراق الركاب وبضائعهم قيمة ؟ إنما أردت أن أقول : صه ، إنهم يغنون مرة أخرى .

رومل : هذه الأغانى تأتى من سفينتنا « النخلة »

(يدخل فيجلاند من اليمين)

فيجلاند : والآن تخرج « النخلة » من الميناء ، مساء الخير سيدى القنصل

برنك بوصفك اخصائياً بأحوال البحر أما زلت تصر على أن ....

فيجلاند : إنى مازلت مصراً على الاعتماد ، أشد الاعتماد على العناية الإلهية ، هذا رأيى يا مستر برنك ، ولقد صعدت إلى السفينة ووزعت بعض المنشورات وأرجو أن يكون لها أجمل الأثر .

(يدخل ساندستاد وكراب من اليمين) .

ساند ستاد : (وهو لا يزال عند الباب) هاهم أولاء جميعاً ، مساء الخير ، مساء الخير ، إنهم إن نجحوا فى هذا فسوف ينجحون فى كل شيء سواه .

برنك : ما وراءك يا كراب ؟

كراب : ليس عندى ما أقوله يا سيد برنك .

ساند ستاد : جميع بحارة « الفتاة الهندية » سكارى وإذا وصل هؤلاء الأفاقون سالمين كنت ..

(تدخل لونا من اليمين) .

لونا : (برنك) لقد طلب إلى أن أودعك .

برنك : هل ركب المركب فعلا ؟

لونا : إن لم يكن قد ركب فسيركب حالاً ، لقد افترقنا أمام الفندق .

برنك : وما زال متمسكاً برأيه ؟

لونا : ثابتاً فيه كالصخرة .

رومل : (عند الشباك) ألا لعنة الله على هذه الستائر الحديثة ، لا يمكنني أن أنزلها .

لونا : أيجب إنزالها ؟ إنني أفضل أن ..

رومل : ننزلها أولا يا آنسة هسل . أنت تعرفين بطبيعة الحال ماذا يحدث الليلة ؟

لونا : فعلا ، دعني أساعدك (تمسك بحبل الستائر) إني أسدل الستار على زوج أختي ، ولو أني أحب أن أرفعه .

رومل : يمكنك أن ترفعيه فيما بعد عندما تموج الحديقة بأفراد المجتمع منشدين مهللين ، عندئذ ترفع الستائر ويرى الناس فجأة الأسرة السعيدة المندهشة ، إن منزل المواطن الصالح يجب أن يكون شفافاً كالزجاج ، (يبدو على برنلك أنه يريد أن يقول شيئاً ولكنه يعود مسرعاً ويدخل حجرته) والآن هيا إلى اجتماعنا الأخير ، تعال أيضاً يا مستر كراب ، يجب أن توضح لنا أمراً أو أمرين .

(يدخل الرجال جميعاً غرفة برنلك ، وتكون لونا قد أسدلت الستائر على النافذة ، وبينما

هى تحاول أن تسدل الستائر على الباب الزجاجى يقفز أولاف من أعلى على عتبة الحديقة ، وهو يحمل حزمة تحت إبطه وملاءة سفر على كتفه) .

لونا : سامحك الله يا بنى ، لقد أخفتنى .

أولاف : صه يا خالتى لونا (وهو يخبىء الحزمة) .

لونا : لماذا تقفز من النافذة ؟ إلى أين أنت ذاهب ؟

أولاف : صه ، لا تقولى شيئاً ، سأذهب إلى خالى يوهان ، إلى رصيف الميناء فقط ، لأودعه فقط ، هيه ، عمى مساء يا خالتى لونا .
(يجرى مسرعاً فى الحديقة)

لونا : لا ، ابق هنا يا أولاف . (يدخل يوهان بحذر ، يحمل حقيبة من القماش على كتفه ، ويدخل من الباب الذى إلى اليمين) .

يوهان : لونا .

لونا : (تلتفت) ماذا ، هل رجعت ؟

يوهان : لدينا بعض الدقائق قبل أن أبحر ، يجب أن أراها مرة أخرى ، ولا يمكننا أن نفترق على هذا النحو (مارتا ودينا تلبسان ملابس الخروج ، ودينا تمسك حقيبة صغيرة فى يدها ، وتدخل من أقصى باب إلى اليسار) .

دينا : (من الخارج) يجب أن أذهب إليه ، لابد لى من الذهاب !

مارتا : نعم لابد أن تذهبى إليه يادينا .

دينا : ها هو ذا .

يوهان : دينـــا .

دينا : خذنى معك .

يوهان : ماذا ؟

لونا : أتريدين الرحيل معه ؟

دينا : نعم ، خذنى معك ، ولقد بعث زورلاند برسالة ويقول : إنه سيعلن خطبته لى هذه الليلة أمام الناس .

يوهان : ألا تحبينه يا دينا ؟

دينا : لم أحبه يوما فى حياتى وسأرمى نفسى فى الخليج إذا اضطررت إلى قبول خطبته ، ألم يهنّى أشد الإهانة فى الليلة الماضية بعبارته الدالة على أنه ولىّ ونصيرى ؟ ألم يشعرنى بأنى أنا أقل منه شأنا ، وبأنه يرفعنى إلى مقامه العالى ؟ لم أعد أحتمل مثل هذا الهوان والذل ، سأغادر هذه البلاد فهل تأخذنى معك ؟

يوهان : نعم ، نعم تعال معى ، ومرحبا بك ، ألف مرحب .

دينا : لن أكون كلاًّ عليك مدة طويلة ، وما عليك إلا أن تأخذ بيدى حتى اعبر المحيط ، وساعدنى على أن أقف على قدمى أوّلا .

يوهان : مرحى . هذا جميل منك يادينا !

لونا : (وهى تشير إلى باب برنك) صه ، بهدوء ، بهدوء !

يوهان : سأعنى بك يادينا . سأحافظ عليك .

دينا : لن أسمح لك بذلك ، إنما أريد أن أشق طريقى فى الحياة هناك ، وسأحقق ذلك هناك فى اللحظة التى أخرج فيها من هذه الأسوار وأبعد عن أولاء هذه النسوة ، إنك لاتعرف النساء فى هذا البلد لقد كتبن إلىّ اليوم ورجوننى أن أفكر مليًّا فى مستقبلى السعيد وبيّن لى أنه تعطف وتكرم علىّ ، وغدا وبعد غد سيراقبننى ليعرفن هل أنا أعمل على أن أكون خليقة بهذا كله إن مظاهر هذا التبجيل تخيفنى وتملأنى رعبا !

يوهان : خبرينى يادينا ، أهذا هو السبب الوحيد فى سفرك؟

دينا : بل أنت أعز على يا يوهان من كل أحد سواك .

يوهان : آه ، يا دينا .

دينا : إنهم جميعا يقولون لى أن أبغضك وأمقتك وأن

ذلك واجب علىّ ، ولكن هـذا الحديث
عن الواجب ، لا أفهمه ولا يمكن أن أفهمه

لونا : ولن يفرض عليك أن تفهميه يا بنيّتى .

مارتا : لا ، لن يفرض عليك ولذلك فسوف تسافرين
معه زوجة له .

يوهان : نعم ، نعم .

لونا : آه يا مارتا ما توقعت هذا منك ، دعينى أقبلك .

مارتا : أنت على حق فيما تقولين ، وأنا نفسى لم
أتوقع أن أقول هذا ، ولكنى كنت أحس
أن الأمر سينتهى إلى غايته يوما ما . وها هى
ذى اللحظة قد أتت ، ألا ما أبشع ما نقاسيه
هنا تحت ستار العادات والعرف ! ألا فلتثورى
عليها يا دينا ، ولتكونى زوجته ولتفعلى شيئاً
تتحدين به كل هذه التقاليد والعادات !

يوهان : ما رأيك فى هذا يا دينا ؟

دينا : نعم ، سأكون زوجة لك .

يوهان : دينا !

دينا : ولكنى سأعمل أولا وأصبح ذات شأن كما
أنت ذو شأن ، ولكن لن أكون مجرد شىء
لا قيمة له يقبل على علاته .

لونا : إنك محقة فى هذا ، ما أجمل هذه الروح !

يوهان : سأنتظر وأتمنى —

لونا : وتنال ما تأمل . والآن هيا إلى السفينة !

يوهان : نعم إلى السفينة ! آه لونا ، أختى العزيزة كلمة واحدة إليك ! اسمعى :

(يقودها إلى الوراء ويتحدث إليها مسرعاً) .

مارتا : إنك فتاة كتب لها السعد يا دينا ، دعينى أملأ منك العين ، وأقبلك مرة أخرى ، للمرة الأخيرة .

دينا : ليست المرة الأخيرة ، لا يا عمتى العزيزة مارتا . سنرى بعضنا فيما بعد .

مارتا : لا ، أبدا ، وعدينى بذلك يادينا ، لا تعودى إلى هنا أبداً .

(تأخذ بيدها وتطيل إليها النظر) والآن اذهبى إلى حيث تسعدين يا طفلتى الغالية وراء المحيط آه .. كم مرة جلست بين جدران حجرة الدراسة وتمنيت أن أنطلق إلى هنا ! وما من شك فى أن تلك البلاد جميلة ، إن السموات فيها أرحب ، والغيوم أعلى مما هى هنا ، والرياح أكثر حرية فى هبوبها فوق الرؤوس .

دينا : آه عمتى مارتا . ستلحقين بنا يوماً ما .

مارتا : أنا ؟ أبداً ، فلدى هنا عملى الصغير المحدود ،

وأظن أنني أستطيع أن أكون هنا ما أريد أن أكونه كله لا أنقص عنه شيئاً .

دينا : لا أعرف كيف أفترق عنك .

مارتا : ليس من الصعب على المرء يادينا أن يترك وراءه الشيء الكثير (تقبلها) ، ولكنك لم تمرى بهذه التجربة يا أعز الناس لدى ، عديني أن تجعليه سعيداً .

دينا : لن أعد بشيء ، إنى أكره الوعود ، سيصير كل شيء فى طريقه المرسوم .

مارتا : نعم ، لابد من ذلك ، وكونى كعهدى بك دائماً ، أمينة مخلصة لنفسك .

دينا : هذا ما سأكون دائماً يا عمتى مارتا .

لونا : (وهى تضع فى جيبها بعض الأوراق التى أعطاها إياها يوهان) إن هذا هو الخير كل الخير يا ابنى العزيز ، والآن أسرع ، أسرع .

يوهان : فعلا ، حان الوقت ؛ إلى اللقاء يا لونا وشكراً لك على حبك وعطفك ، وداعاً يا مارتا وشكراً لك على إخلاصك فى صداقتك .

مارتا : وداعاً يا يوهان ، وداعاً يا دينا وترفرف عليكما السعادة طوال أيامكما !

(هى والآنسة هسل يسرعان بهما نحو الباب

الخلفى ويوهان ودينا ينزلان مسرعين إلى الحديقة فتغلق الآنسة هسل الباب وتنزل الستائر) .

لونا : والآن ها نحن بمفردنا يا مارتا ، لقد خسرتها أنت وخسرته أنا .

مارتا : خسرته أنت ؟

لونا : لقد خسرته بعض الخسارة منذ كنا فى أمريكا ، فلقد كان الغلام يتوق إلى أن يسترد شخصيته ويقف على قدميه ومن أجل هـــذا جعلته يظن أنى أريد العودة إلى الوطن .

مارتا : أهذا هو سبب عودتك ؟ عرفت الآن لماذا عدت ، ولكنى أظن أنه يريد أن تعودى معه يا لونا .

لونا : وماذا يريد الآن من أخت مسنة غير شقيقة ؟ إن الرجال فى سبيل سعادتهم يتحللون من كثير من الروابط .

مارتا : نعم هذا يحدث أحياناً

لونا : ولكن الأيام لم تفصم ما بيننا من رابطة

مارتا : وهل فى استطاعتى أن أساعدك ؟

لونا : ومن غيرك يستطيع ؟ كلانا كأم فقدت طفلا لها ، وأصبحنا معا دونهما .

مارتا : نعم ، معا دونهما ، ولذلك دعيني أصرح لك ، لقد أحببته أكثر من حبي لأى شيء آخر فى الدنيا .

لونا : مارتا (تمسكها من ذراعها) أحقا ماتقولين ؟

مارتا : إن حياتى كلها تتلخص فى هذه العبارة لقد أحببته وانتظرته ، وترقبت عودته كل صيف ثم عاد أخيراً ولكنه لم يرنى .

لونا : أحببته ؟ ولكنك أنت التى وضعت سعادته بين يديه .

مارتا : ألم يكن حقا علىّ أن أسعده لأنى أحبه ؟ نعم أحببته وعشت حياتى من أجله منذ أن رحل ، ولعلك لا تعرفين الأسـباب التى كانت تبعث فى نفسى الرجاء ؟ أما أنا فقد كان لدىّ — فيما أظن — بعض الأسباب ، غير أنه لما عاد بدا لى كأن كل شيء قد محى من ذاكرته ، ولهذا لم يرنى .

لونا لقد كانت دينا هى التى غطت عليك وحجبته عنك يا مارتا .

مارتا . وكان خيرا فعلت ، فلقد كنا هنا فى سن واحدة وعندما رأيته بعد عودته ... آه ... يالها من لحظة مريرة ! شعرت أننى أكبره

بعشر سنوات ولقد عاش هناك في الشمس المشعة الصافية ، واستنشق مع كل أنفاسه ، الشباب والصحة ، بينما كنت أجلس هنا بين هذه الجدران أفقد جمالى ، وأصبح عانسا تغزل بمغزلها .

لونا : تغزلين خيط سعادته يامارتا

مارتا : نعم أغزل خيطا من الذهب ، نعم ، إنى لم أشعر بالمرارة أبدا يا لونا ، ألم يكن حقا يا لونا أننا كنا أختين وفيتين

لونا : (تطوقها بذراعها) مارتا

(برنك يخرج من غرفته)

برنك : (إلى الرجال من داخل الغرفة) نعم ، نعم تصرفوا فى الأمر كما ترون وإذا حان الوقت فسوف .. (يغلق الباب) آه ! هل أحد هنا ؟ اسمعى يا مارتا عليك أن تغيرى ملابسك وقولى لبيتى أن تفعل ذلك أيضاً ، ولست أحب شيئاً رائعاً طبعاً ، بل أريد ملابس حسنة مما يلبس داخل المنزل ولكن عليك أن تسرعى هيّا ...

لونا : ولتكن نظراتك مشعة بالبهجة والرضا يا مارتا لتكن قسماتك معبرة عن البهجة والانشراح

برنك : وأولاف يجب أن يأتى أيضاً فأنا سأجلسه بجوارى

لونا : أولاف

مارتا : سأقول ذلك لبيتى (تخرج من الباب الذى فى أقصى اليسار)

لونا : والآن لقد جاءت اللحظة الحاسمة فى تاريخ حياتك

برنك : (يقطع الغرفة جيئة وذهابا) نعم لقد جاءت اللحظة الحاسمة

لونا : أظن أنه لابد للمرء أن يشعر بالفخر والسعادة فى مثل هذه اللحظة

برنك : (وهو ينظر إليهما) هيه !

لونا : لقد سمعت أن المدينة كلها ستضاء بالأنوار

برنك : نعم ، إنهم يفكرون فى شىء كهذا

لونا : ستأتى جموع الشركات والهيئات تحمل أعلامها وسيسطع اسمك بحروف من نور ، وسيحمل البرق مئات الرسائل إلى كل أنحاء البلاد قائلة لقد تقبل المستر كارستن برنك تحيط به أسرته جميع مواطنيه الذين اعترفوا له بأنه أحد دعائم المجتمع .

برنك : نعم ، وسيهتفون لى فى الخارج ، وسيدعون الجميع إلى الخروج من هذا الباب ، وسأضطر إلى أن أحييهم وأشكرهم .

لونا : ومن الذى يضطرك ؟

برنك : أتحسبيني سعيداً فى هذه اللحظة ؟

لونا : لا أظنك تشعر بالسعادة الكاملة .

برنك : إنك تحتقرينى يا لونا .

لونا : لا لم يأت بعد وقت احتقارك .

برنك : ليس من حقك أن تحتقرينى ، ولا يمكنك أن تتصورى تلك الوحدة القاتلة التى أضيق بها ذرعاً فى هذا المجتمع الضيق الحقير ، وكيف كنت أضطر إلى أن أضحى فى كل عام بأكثر مما أضحى به فى سابقه من حقى فى الحياة الكاملة المرضية ، وماذا جنيت بعد هذا كله ، مهما بدا لك أنى جنيت الشيء الكثير؟ لم أجن الاتفاهات لا تشبع ولا شيء غير هذا أو أكبر من هذا يسمح به هنا ، وإذا ما حاولت أن أتقدم خطوة إلى الأمام أخرج بها عن مزاج هذه اللحظة وعن نظرة الناس فيها ، فقدت مكانتى ، وتعلمين موقفنا هنا نحن الذين يطلق عليهم اسم أعمدة المجتمع ، ما نحن إلا أدوات وآلات فى هذا المجتمع يحركنا كيفما شاء ، لا أقل من هذا ولا أكثر .

لونا : ومن الذى جعلك تفكر فى ذلك الآن ، ولأول مرة ؟

برنك : لأنى كنت دائم التفكير فى الآونة الأخيرة منذ عودتك وبخاصة فى هذه الليلة ، آه يا لونا لِمَ لمْ أعرفك ولم أهتد إلى نفسك الحقة وقتئذ ، فى تلك الأيام الماضية .

لونا : وهب أنك اهتديت إليها .

برنك : والله لما تركتك أبداً . ولو أنى نلتك لما وقفت هذا الموقف الذى أقفه الآن .

لونا : ألا تفكر فيما عساها أن تكون لك ، تلك التى اخترتها زوجة بدلاً منى ؟

برنك : أعلم على أية حال أنها لم تكن لى الشىء الذى أحتاجه .

لونا : ذلك لأنك لم تشركها فى حياتك ، لأنك تسمح لها بأن تكون مساوية لك مساواة حرة شريفة ، تركتها ترزح تحت عبء المذلة والعار اللذين وَصمت بهما أقرب الناس إليها .

برنك : نعم ، نعم ، نعم ، إن كل شىء مصدره الكبر والرياء .

لونا : وإذن ، فلماذا لاتنجو من كل هذا الكبر والرياء؟

برنك : الآن ؛ فات الأوان يا لونا .

لونا : كارستن ما الذى يعجبك فى هذا الادعاء ، وذلك الرياء ؟

برنك : لا يعجبنى فيه شىء ، إنى أنوء به كما ينوء به كل الناس فى النظام الاجتماعى الفاسد المحطم ، ولكن سيأتى جيل بعدنا ، إننى أعمل لابنى ، إن ابنى هو الذى أعمل له طول حياتى ، وسيأتى الوقت الذى يصبح فيه الصدق عادة راسخة فى حياة الناس ، وسيبنى عليه حياة أسعد من حياة أبيه .

لونا : مجدٌ أساسه الكذب ، فكر فى التراث الذى ستورثه ابنك .

برنك : (وهو يحاول إخفاء مظاهر يأسه) سأترك له ميراثاً أسوأ ألف مرة مما تعرفين ، ولكن اللعنة ستزول أثرها يوماً ما ، ومع هذا . . ومع هذا (منفجرا) كيف تستطيعين أن تُحمّليني هذا العبء كله ، لقد قضى الأمر ولا بد لى أن أسير ، ولن أترك لك الفرصة لكى تشبعى هوايتك فى تحطيمى !

(يدخل هيلمار وبيده خطاب مفتوح ، من الباب الذى جهة اليمين مسرعاً مشتت الأفكار) .

هيلمار : لكن هذا عجيب ! بيتى بيتى .

برنك : ماذا ؟ أتظنهم قد حضروا ؟

هيلمار : لا ، لا ، ولكن يجب أن أتحدث إلى شخص م

(يخرج من أبعد باب جهة اليسار) .

لونا : إنك تتحدث عنا يا كارستن كأننا أتينا إلى هنا لكى نحطمك ، لذلك دعنى أخبرك الآن عن طبيعته ، ذلك الفتى المتلاف الذى يتجنبه مجتمعكم الفاضل كما يتجنب السليم الأجرب ، إنه الآن فى غنى عنك لأنه خرج من هذا البلد .

برنك : ولكنه سيعود .

لونا : يوهان لن يعود لقد ذهب إلى غير رجعة ، ولقد سافرت معه دينا .

برنك : لن يعود مرة أخرى ، ودينا معه ؟

لونا : نعم لتصبح زوجته ، وتلك هى الطريقة التى صفعا بها وجه مجتمعك الفاضل ، كما صفعته أنا من قبل .. والآن !

برنك : سافرت هى الأخرى على « الفتاة الهندية »

لونا : لا ، إنه لا يأتمن تلك الجماعة المنبوذة على هذه البضاعة الغالية ، لذلك سافر يوهان ودينا على ظهر « النخلة » .

برنك : آه ، هكذا ، وبلا هدف . (يعبر المسرح

بسرعة ويدفع باب غرفته فيفتحه وينادى وهو منفعل) كراب ، كراب ، أوقف « الفتاة الهندية » ولا تجعلها تبحر هذه الليلة .

كراب : (من الداخل) «الفتاة الهندية» فى البحر الآن ، يا مستر برنك .

برنك : (يغلق الباب ويقول مكتئباً) لقد أبحرت ، إلى غير هدف .

لونا : ماذا تعنى ؟

برنك : لا شيء ... لا شيء ... أخرجى من هنا !

لونا : اسمع يا كارستن ، لقد أخبرنى يوهان أن أبلغك أنه وضع بين يديك اسمه وسمعته اللذين وهبهما لك فى وقت من الأوقات ، كما ترك ما سرقته منه يوم أن رحل ، ترك هذا الاسم وهذه السمعة بين يدىّ ولن يقول يوهان شيئاً ، أما أنا ففى مقدورى أن أعمل أو لا أعمل شيئاً فى هذا الأمر ، استمع إلىّ ، إن خطابيك بين يدى .

برنك : أهما عندك ؟ والآن ، الآن ستقومين بـ .... هذه الليلة ، ربما أثناء الاحتفال .. ..

لونا : لم آت إلى هنا لأشهّر بك ، إنما أتيت لأثيرك كى تتحدث من تلقـــاء نفسك وبمحض

إرادتكِ ولكنى لم أنجح فى ذلك بعد ، إذن لتبق منغمساً فى كذبك وبهتانك ، والآن انظر إلىّ ملياً ، هأنذا أمزق الخطابين إرباً ، خذ هذه القصاصات ، ها هى ذى ، ولم يبق الآن ما يشهد عليك يا كارستن ، لقد نجوت ، وكن سعيداً أيضاً إن كان ذلك فى مقدورك .

برنك : (متأثراً) لِمَ لَمْ تفعلى ذلك من قبل يا لونا ، قد سبق السيف العذل ، لقد تحطمت حياتى الآن ولم يعد فى وسعى أن أحيا بعد اليوم .

لونا : ماذا حدث ؟

برنك : لا تسألينى ، ولكن يجب أن أعيش ، بل سأعيش من أجل أولاف ، سيصلح أولاف ما أفسدت وسيكفر عن كل شىء .

لونا : كارستن .

(يدخل هيلمار مسرعاً مرة أخرى)

هيلمار : ما من أحد بالمنزل ، هربوا جميعاً ، حتى بيتى .

برنك : ماذا دهاك ؟

هيلمار : ليس فى وسعى أن أفصح لك .

برنك : بل يجب أن تفصح ؟

هيلمار : لقد . . لقد هرب أولاف وركب « الفتاة الهندية » .

برنك : (مترنحاً إلى الخلف) أولاف ، على « الفتاة الهندية » لا ، لا ، لا .

لونا : هرب ؟ هل هرب ؟ الآن فهمت ، لقد رأيته يقفز من النافذة .

برنك : (عند باب غرفته ينادى فى يأس) كراب ، كراب ... أوقف « الفتاة الهندية » ، أوقفها مهما كلفك الأمر .

كراب : (يخرج) محال مستحيل يا مستر برنك ، كيف تظن أن ... ؟

برنك : يجب أن نوقفها ، إن أولاف على ظهرها .

كراب : ماذا تقول ؟

رومل : (يخرج) أولاف هرب ؟ هذا مستحيل !

ساند ستاد : (يدخل) يمكن إرجاعه مع المرشد بطبيعة الحال .

برنك : ولدى ، ولدى .

كراب : لا تنزعج يا مستر برنك . لن يسمح له القبطان بالرحيل .

هيلمار : لا ، لا ، لقد كتب لى يقول : إنه سيختبىء بين شحنة البضائع حتى تصبح السفينة فى عرض البحر

برنك : فى قاع البحر لن أراه بعد اليوم .

رومل : إن الفتاة الهندية قوية وقد أعيد إصلاحها جيداً ، أخيراً .

فيجلاند : (خارج من الغرفة) من حوض سفنك يا مستر برنك .

برنك : أؤكد لكم أنى سوف لا أراه بعد الآن . لقد فقدته يا لونا ، إننى أحس الآن ، أحس بأنه لم يكن ابنى يوماً ما (مسترقا السمع) ما هذا ؟

رومل : الموسيقى ... الموكب مقبل .

برنك : لا أقدر ... لا أريد أن أرى أحداً .

رومل : ما الذى تفكر فيه هذا غير ممكن .

ساند ستاد : مستحيل يا مستر برنك ، فكر فيما تتعرض له من خطر .

برنك : وما قيمة هذا كله الآن ؟ ومن ذا الذى أعمل له بعد اليوم .

رومل : وهل أنت الذى تسأل مثل هذا السؤال ؟ تعمل لنا طبعاً وللمجتمع .

فيجلاند : نعم ، الحق ما تقول .

ساند ستاد : وطبعاً ، لا تنس ياسيدى القنصل أننا ...

(تدخل مارتا من أبعد الأبواب الخلفية إلى اليسار تسمع الموسيقى خافتة من آخر الشارع) .

مارتا : إن الموكب فى طريقه إلينا ، ولكن بيتى ليست فى المنزل ولا أعرف أين ذهبت .

برنك : ليست فى المنزل ! انظرى يا لونا أهذه حالتى ؟ إنى لا أجد سنداً لى ، لا فى الأفراح ولا فى الأتراح .

رومل : أرفعوا الستائر . تعال ساعدنى يا كراب ، وأنت يا ساندستاد ، إنه لمن المؤسف حقاً أن يتفرق شمل الأسرة فى هذه اللحظة ! وألا يشهد البرنامج .

(ترفع الستائر من النوافذ والباب . يظهر الشارع كله مضاء وعلى المنزل المقابل لوحة مضاءة عليها عبارة « عاش كارستن برنك عماد مجتمعنا » .

برنك : (مرتدا إلى الخلف) أزيلوا هـــذه الأشياء كلها ، لا أريد أن أراها ، أزيلوها ، أزيلوها .

رومل : مع شديد احترامى ، هل اختلت موازين عقلك؟

مارتا : ماذا اعتراه يا لونا ؟

لونا : صه (تتحدث إليها بصوت منخفض) .

برنك : أبعدوا هذه اللوحة امسحوا هذه العبارة ، إنها سخرية لاذعة . ألا ترين هذه الأضواء كلها ؟ إنى أراها لهباً تخرج لنا ألسنتها هازئة منا ساخرة .

رومل : والله لا بد من القول ، إنه ...

برنك : آه ... أنت .. ماذا تعرفين عن الموضوع ؟
أما أنا ... إنها شموع جنائزية .

كراب : إيه .

رومل : تمالك نفسك أيها الرجل ، ليس الأمر خطيراً
بهذا الشكل .

ساندستاد : سيقوم الصبي برحلة فى المحيط الأطلنطى ثم
يعود إليك سالماً .

فيجلاند : ما عليك إلا أن تثق بالله العلى القدير يا مستر
برنك .

رومل : وبالسفينة أيضاً ، إن « الفتاة الهندية » لن
تغرق أبداً يا مستر برنك ، وأنا واثق
من هذا .

كراب : إيه .

رومل : لو أنها كانت كتلك النعوش البحرية التى نسمع
عنها فى البلاد الكبيرة لكان ...

برنك : إنى أحس بأن شعرى يشيب .

(تدخل مسز برنك من باب الحديقة وعلى رأسها
لفاعة كبيرة) .

مسز برنك : كارستن ! هل تعلم ؟

برنك : نعم أعلم ، ولكن أنت السبب ، أنت التى

لا قيمة لك ، أنت التي لم تستطيعي فرض قابتك عليه .. !

مسز برنك : اسمع ، اسمع !

برنك : لماذا لم تلاحظيه قبل أن أفقده ، أعيديه إليّ أعبديه إن استعطت .

مسز برنك : نعم ، سأعيده ، إنه معى !

برنك : معك ؟

مسز برنك : نعم معى !

هيلمار : فعلا ، لقد كنت أظن هذا .

مارتا : لقد عاد إليّ يا كارستن !

لونا : فعلا ، والآن أكسبه من جديد .

برنك : أتقولين أنه معك ؟ أحق ما تقولين ؟ أين هو ؟

مسز برنك : لن تعرف مكانه إلا بعد أن تغفر له .

برنك : لقد غفرت له ، رباه ! ولكن كيف عرفت أنه .. ؟

مسز برنك : أتظن أن عين الأم ساهية ؟ كنت أخشى أن تعلم أنت بأمر هروبه ، لقد زلق لسانه أمس بكلمة أو كلمتين .. ثم لاحظت اليوم أنه ليس بغرفته ، ولم أجد حقيبته ولا ملابسه ...

برنك : نعم ، ثم ماذا ؟

مسز برنك : ثم أسرعت إلى السيد هون وركبت قاربه ، وكانت السفينة الأمريكية على وشك الخروج من الميناء ، ولكننا ، والحمد لله ، وصلنا إليه في الوقت المناسب ، وصعدت إلى ظهرها وفتشنا قاعها ، ووجدناه مختبئاً به ، ولكنك لن تعاقبه يا كارستن .

برنك : بيتي .

مسز برنك : ولن تعاقب أولف أيضاً .

برنك : أولف ؟ ماذا تعرفين عنه ؟ هل أبحرت « الفتاة الهندية » بعدئذ .

مسز برنك : لا ، ولذلك ...

برنك : أخبريني ! هيا !

مسز برنك : لقد كان أولف يشاركني الخوف والذعر ، وقد استمر البحث عن أولاف بعض الوقت ، وأقبل الليل وأبدى المرشد بعض الصعوبة ، عندئذ خاطر أولف وأمر باسمك أن ... أن .. ؟

برنك : أن ؟

مسز برنك : أن يقف المركب ويرجأ إبحارها حتى غد .

كراب : إيـــه !..

مسز برنك : بارجاء سفر السفينة إلى غد .

كراب : إيــه !

برنك : ما أعظم رحمتك يا رب !

مسز برنك : ألست مغضباً ؟

برنك : ما أعظم رحمة الله يا بنى !

رومل : أنت فى الواقع ذو ضمير حى فوق ما يجب .

هيلمار : نعم يلوح أنه ستقوم بينها وبين عوامل الطبيعة معركة قصيرة على الفور ، ثم ... أف !

كراب : (عند النافذة) إن الموكب يا مستر برنك يدخل من باب الحديقة .

برنك : الآن يمكنهم أن يأتوا إلى .

رومل : إن الحديقة تموج بالناس .

ساندستاد : والشارع بأكمله قد ازدحم بهم .

رومل : لقد خرجت المدينة بأسرها يا مستر برنك ، إنها بحق لحظة الإلهام يا مستر برنك .

فيجلاند : فلنتقبل هذا متواضعين يا مستر رومل .

رومل : إن جميع الهيئات بأعلامها هنا ألا ما أروع هذا الموكب ! وها هو ذا مستر رورلاند على رأس لجنتنا .

برنك : دعهم يقبلوا .

رومل : ولكن حذار من الحالة العقلية التى أنت بها .

برنك : ماذا بى ؟

رومل : كم أود أن أتحدث أنا بالنيابة عنك .

برنك : لا ، شكراً ، سأتكلم أنا فى هذه الليلة بالإصالة عن نفسى .

رومل : وهل تعرف ما الذى يجب قوله ؟

برنك : لتهدأ بالاً يا رومل ، إنى أعلم جيداً ما يجب أن أقوله ، والآن .

(تكف الموسيقى عن العزف فى هذه اللحظة ، يفتح باب الحديقة ويدخل رورلاند على رأس اللجنة يصحبه خادمان يحملان سلة عليها غطاء ، ويأتى بعدهما أفراد الشعب من كل الطبقات بقدر ما تسمح الغرفة . جموع حاشدة يحملون اللافتات والأعلام يظهرون فى الحديقة . وعلى طول الشارع) .

رورلاند : إليك ، أيها السيد العزيز ، تهانينا وإن كنت أرى من علامات الدهشة البادية أن قد فرضنا أنفسنا عليك ضيوفا غير منتظرين ، وعكرنا عليك صفو مزاجك بين أفراد أسرتك السعيدة فى بيتك الوادع الهانئ ، وبين هؤلاء الأصدقاء والمواطنين الذين تربطك بهم عرى الخدمة العامة ، حقاً ، لقد حضرنا فجأة مدفوعين بالحب والولاء لك . لنقدم لك تحياتنا ،

وليست هـــذه أول مرة يحدث فيها هذا فى تاريخك ولكنها المرة الأولى التى يحدث فيها على هذا النطاق الواسع ، فكثيراً ما قدمنا لك اعترافنا بأفضالك لما وضعت من أسس أخلاقية أقمت عليها صرح هذا المجتمع ، إن صح هذا التعبير . أما الآن فإننا نمجد فيك فوق كل شيء آخر هذا النظر الثاقب ، وهذه الهمـــة التى لا تعرف الملل ، لا ، وإنكار الذات ، لا ، بل هذه التضحية بالذات فى سبيل مواطنيك ، نمجد فيك أنك خطوت الخطوة الأولى فى تحقيق هذا المشروع الذى يراه جميع العارفين مشروعاً سيكون له أقوى الأثر فى زيادة رفاهية هذا المجتمع وخيره إلى أعلى الدرجات (مرحى ، مرحى . عاش كارستن برنك) .

رورلاند : لقد كنت يا سيدى منذ سنوات عدة المثل الوضاء المتحذى فى بلدنا هذا ، ولست أتحدث عن حياتك المثلى فى منزلك بين أسرتك ، ولا عن أخلاقك الفاضلة النقية من جميع الشوائب ، فأحتفظ بهذه الأشياء للحديث الخاص فليس هـــذا الاحتفال العام موضع

ذلك الحديث ، بل إن حديثى يدور حول
خدماتك الاجتماعية التى قمت وما زلت تقوم
بها فى سبيل هذا المجتمع على مرأى ومسمع
من النـــاس أجمعين ، فها هى ذى السفن
العظيمة تخرج من أحواض سفنك ترفع علم
الوطن إلى أقاصى البحار ، إن هذا العدد الجم
من الصناع والعمال السعداء ينظرون إليك نظرتهم
إلى والدهم لأنك عند ما تنشىء الصناعات
الجديدة تضع فى نفس الوقت أسس الرخاء
والرفاهية لمئات من الأسر ، ومعنى هذا ،
أنك أنت بنوع خاص أكبر عماد لهـــذا
المجتمع .

أصوات : مرحى ، مرحى .

رورلاند : نعم ، أذكر لك هـــذا الإيثار الذى يشع
بالخير والحب على جميع أعمالك ، وما لذلك
من أثر فى هذه الأيام بنوع خاص ، فأنت
توشك أن تنشىء لنا — ومعذرة إذا سميت
المشروع باسمه العادى الخالى من الزخرف
والذى يسميه الناس فى كل يوم — ستنشىء
لنا ، السكة الحديدية .

أصوات : مرحى ! مرحى !

رورلاند : ولكن يبدو أن هذا المشروع يلاقى صعوبات تقيمها فى وجهه المصالح الضيقة القائمة على الأنانية المحضة .

أصوات : نعم ! نعم !

رورلاند : نعم ، نعم لم يعد خفيا أن بعض الأفراد ، الذين لا يمتون إلى مجتمعنا هذا بأى صلة قد استأثروا بالعمال المجدين والمواطنين المقتصدين فى هذا المكان ، واستولوا على بعض الامتيازات التى كان من الواجب أن تصبح ملكاً للبلد بأجمعه لأنها حقه الطبيعى .

أصوات : نعم ، نعم ، مرحى ، مرحى

رورلاند : لا شك أن هذه الحقيقة المؤسفة قد وصلت إلى أسماعكم يا مستر برنك ، ولكنك ، مع ذلك ، سرت فى مشروعك بخطى ثابتة لأنك تعرف أن الرجل المحب لوطنه يجب ألا يعنى بمصالح الإقليم الذى يعيش فيه فحسب

أصوات : ماذا ؟ لا ، لا ، نعم ، نعم

رورلاند : إن هذا الصنف من الرجال الذين يغارون على مصالح بلدتهم ودولتهم ، أولئك الرجال الذين يجب أن يكونوا ، ولا بد أن يكونوا ، هم الذين نحييهم فى شخصك هذه الليلة وأنا

لندعو الله أن يجعل مشروعك مصدر الرفاهية
الحقة الدائمة لهذا المجتمع ، ونحن نعترف أن
السكة الحديدية ستعرضنا لتلك العناصر الشريرة
فى العالم الخارجى ، ولكنها قد تكون أيضاً
وسيلة للخلاص من هذه العناصر فى أقرب
وقت ، ومع ما فيها من خير وشر فإنا لا نستطيع
تجنب العناصر الفاسدة التى تأتينا من الخارج
وإنه ليسعدنى أننا فى هذه الليلة السعيدة قد
تخلصنا كما سمعت من بعض هذه العناصر
الفاسدة « وتخلصنا منها بأسرع مما نتوقع »

أصوات : صه ! صه !

رورلاند : وإنى لأرى ذلك فألا حسنا لنجاح المشروع ،
وإن إشارتى إلى هذا الموضوع فى هذا المكان
بالذات لدليل أكيد على أننا فى بيت يضع
الأخلاق الكريمة ومطالبها فى منزلة أسمى مما
تحتمه روابط القرابة .

أصوات : مرحى ! مرحى !

برنك : (فى هذا الوقت نفسه) : اسمحوا لى —

رورلاند : كلمتين فقط ، إذا سمحت ، أنك فيما قمت
به من خدمات لهذا المجتمع لم تكن تبغى جزاء
ماديا لنفسك ، ولكن يجب ألا ترفض هذا

الرمز المتواضع الذى يرمز به مواطنوك إلى اعترافهم لك بالجميل ، خصوصاً فى هذه الساعة الخالدة التى يؤكد ذوو التجارب العملية أنها فاتحة عهد جديد

أصوات : مرحى ! مرحى ! (يشير إلى الخدم الذين يتقدمون بالسلة ويخرج أعضاء اللجنة الهدية ، الأشياء التى يشير إليها فى خطبته التالية)

رورلاند : سيدى القنصل برنك ، انا نقدم لكم طقما فضياً للقهوة تزدان به مائدتك عندما يسعدنا أن نجتمع فى المستقبل ، كما اعتدنا أن نجتمع كثيراً فى الماضى فى هذا المنزل العامر الكريم ، وأنتم أيضا أيها السادة الذين ساعدتم بإيمان زعيم مجتمعنا ، نسألكم أن يتقبل كل منكم تذكاراً صغيراً ، تقبل هذه الكأس الفضية يامستر رومل لأنك كثيراً مادافعت ، أثناء قرع الكؤوس ، بعبارات خلابة عن المصالح المدنية لهذا المجتمع ، وكم نود أن نجد كثيراً من الفرص لترفع هذه الكأس فى مناسبات مماثلة ، وإليك ياساندستاد أقدم سجل الصور الذى يحتوى صوراً لمواطنيك فقد اكتسبت بحريتك وبعدالتك المعروفتين اللتين

يعترف بهما الجميع أصدقاء كثيرين من كل طبقات هذا المجتمع . وإليك يامستر فيجلاند هدية تزين بها مكتبك ، كتابا يعالج تقديس الأسرة مطبوعاً على الجلد ومجلداً تجليداً فخما . فإنك بفضل ما أفاءته عليه السنون من نضج قد أصبحت تنظر إلى الحياة نظرة جد ووقار ، وأن نشاطك فى القيام بواجباتك كل يوم ، والتى ظللت تقوم بها أعواماً طوالا قد أحاطتها أفكارك العليا القدسية بهالة من النبل والكرامة ، (وهو يتجه إلى الشعب) والآن أيها الأصدقاء اهتفوا معى ، عاش القنصل برنك ، وعاش رفاقه العاملون ، عاشت أعمدة المجتمع .

الشعب : عاش القنصل برنك ، عاشت أعمدة المجتمع ها ، ها هو .

مارتا : مبروك يا كارستن (صمت متوقع) .

برنك : (وهو يبدأ الحديث جاداً هادئاً) مواطنى ، لقد قال خطيبكم الناطق بلسانكم فى هذه الليلة ، إننا مقدمون على عهد جديد وأرجو أن يتحقق هذا الأمل ، فإن علينا أن نستمسك كل الاستمساك بالحق ، الحق الذى كان حتى هذه الليلة بعيداً عن هذا المجتمع كل البعد

غريباً عنه من جميع النواحى (استغراب من الواقفين) .

برنك : يجب أن أبدأ برفض ذلك الإطراء الذى أثقلت به كاهلى يا مستر رورلاند ، وهى السنة الجارية فى مثل هذه المناسبات ، إننى لا أستحق شيئاً منه لأننى حتى اليوم لم أكن رجلا بدون أطماع ، وإذا لم أكن أسعى وراء المال على الدوام ، فقد كنت مع ذلك — كما أعلم أنا حق العلم — أهدف إلى القوة والنفوذ ، وإلى السمعة والاسم الرنان ، وقد كان هذا هو القوة الدافعة لعظيم أعمالى .

رومل : (بصوت عالٍ إلى حد ما) ماذا دهاك ؟

برنك : وإنى لأشهد أمام هذا الجمع من مواطنى بأننى لا ألوم نفسى على ذلك لأننى مازلت أعتقد أننى أحد كبار رجال الأعمال فى هذا البلد .

أصوات : نعم ، نعم ، نعم !

برنك : ولكن الذى ألوم نفسى عليه هو هذا ، إننى كنت كثيراً ضعيف النفس ، ضعيف الارادة أنزل إلى الطرق الملتوية لأننى كنت أعرف وأخشى ما ينزع إليه مواطنونا من شك فى وجود دوافع غير شريفة تدفع الإنسان إلى ما يقوم

به من أعمال ، والآن أصل إلى موضوع معين.

رومل : (فى قلق) . إيه ، إيه .

برنك : هناك شائعات يتداولها الناس هنا عن شراء أراض وممتلكات فى داخل هذه البلاد ، هذه الممتلكات قد اشتريتها أنا ، أنا وحدى .

أصوات : (أصوات استنكار) ماذا يقـــول ؟ برنك ؟ القنصل برنك .

برنك : وهذه الأراضى بين يدىّ الآن ، ولقد أخبرت زملائى بذلك بطبيعة الحال ، المستر رومل ، والمستر فيجلاند ، والمستر ساند ستاد ، اتفقنا على ...

رومل : هذا غير حقيقى ، عليك بالبرهان ، البرهان .

فيجلاند : لم نتفق على شىء .

ساند ستاد : الواقع يوجب علىّ أن أقول الآن ...

برنك : أنتم على حق ، فإننا لم نتفق بعد على تلك المسألة التى كنت بسبيل ذكرها ، ولكنى لا أشك مطلقاً فى أن هؤلاء السادة الثلاثة يؤيدوننى إذا قلت .. إننى وافقت الليلة على أن تعرض هذه الممتلكات للاكتتاب العام « للبيع » ولكل فرد الحق فى شراء أى أسهم فيها .

أصوات : عاش القنصل برنك ، عاش !

رومل : (يتحدث إلى برنك بصوت منخفض) إن هذه
خيانة خسيسة .

ساند ستاد : (يتحدث إلى برنك أيضاً) ضحكت علينا إذن

فيجلاند : والآن اذهب إلى الشيطان، رباه ! ماذا أقول ؟

الشعب : (من الخارج) يعيش ! يعيش ! يعيش !

برنك : استمعوا أيها السادة ، إنى لا أستحق هذا
الهتاف لأن ما صممت عليه الآن لم يكن
قصدى أول الأمر ، كان قصدى أول الأمر
أن تصبح هذه الأراضى كلها ملكاً لى ،
وما زلت أعتقد أن أصلح طريقة لاستثمارها
هى بقاؤها فى يد شخص واحد ، ولكن عليكم
أن تختاروا أحد أمرين ، فإن شئتم أن تتركوها
لى قمت بإدارتها بكل ما أوتيت من مقدرة .

أصوات : نعم ، نعم ، نعم !

برنك : ولكن عليكم أيها المواطنون أن تتعرفوا على
حقيقتى ، ولكن على كل فرد منكم قبل ذلك
أن يرى نفسه على حقيقتها صادقاً بلا رياء ،
ولنبدأ من هذه الليلة عهداً جديداً ، أما ذلك
الماضى بما فيه من زلفى ورياء ، ونفاق واحترام
زائف ، وتدبير للأمور حقير يرثى له ، ذلك
الماضى سيبقى متحفاً نفتحه للعبرة ، ولذلك

المتحف أيها السادة سنرسل هذا الطاقم الفضى للقهوة ، وهذه الكأس ، وهذا السجل المصور ، وهذا الكتاب الأنيق فى واجبات الأسرة المطبوع على الجلد والمجلد أفخم تجليد .

رومل : طبعاً ، طبعاً ، بلا شك .

فيجلاند : (بصوت واضح) ما دمت قد أخذت كل ما بقى فليمَ ...

ساند ستاد : تفضل ، خذ .

برنك : والآن فلنعد إلى النقطة الرئيسية فى تسوية شئونى مع المجتمع ، لقد قيل لنا : إن « عناصر خبيثة » قد غادرتنا فى هذه الليلة ، وأضيف إلى ذلك شيئاً غير معروف ، وهو أن ذلك الرجل الذى أشير إليه لم يسافر وحده ، بل رحلت معه لتصبح زوجة له .

لونا : (بصوت عال) ديناد ورف .

رورلاند : ماذا ؟

مسز برنك : ماذا تقول ؟

رورلاند : (هرج ومرج) هربت رحلت .. معـــه ! مستحيل !

برنك : لتصبح له زوجة يا مستر رورلاند ، وعندى الكثير لأضيفه (بصوت هادىء) بيتى استمعى

إلى ما سأقوله (بصوت عال) هأنذا أصرح :
إن الشرف كل الشرف يتمثل فى ذلك الرجل
الذى كان كريماً إلى حد أنه حمل خطيئة
غيره ، أيها المواطنون ، سيكون هذا اليوم آخر
عهدى بالكذب فلقد أوشك هذا الكذب أن
يسمم كل جزء من أجزاء جسمى وستعلمون
كل شىء ، منذ خمسة عشر عاماً كنت
الرجل المجرم .

مسز برنك : (بصوت خفيض مرتعش) كارستن !

مارتا : (بنفس الصوت) آه يوهان !

(كلمات ودهشة بين الواقفين)

برنك : حقا ، أيها المواطنون . كنت أنا الرجل المجرم ،
ولكنه حمل الجرم ورحل ، وأصبحت التهم
والشائعـــات الكاذبة التى دارت حوله ،
أصبحت أصعب من أن يدحضها إنسان ،
ولكنى لا ألوم نفسى على ذلك ، فمنذ خمسة
عشر عاماً اعتمدت على هــذه الشائعات
وارتفعت بها إلى مقام سام ، وعلى كل واحد
منكم الآن أن يقرر ، هل تكون سبباً فى
سقوطى ؟ .

رورلاند : يا لها من صاعقـــة ! زعيم البلد كله !

(يهمس بصـــوت خفيض لمسز برنك) آه يا سيدتى العزيزة ، إن هذا ليحزننى من أجلك !

هيلمار : أمثل هذا الاعتراف ! يجب أن أقول !

برنك : ولكننا لن نقرر اليـــوم أى قرار ، بل إنى لأطلب إلى كل واحد منكم أن يذهب إلى منزله وأن يستجمع شوارد أفكاره وأن يتأمل حقيقة نفسه ، فإذا هدأت أفئدتكم وعاد إليكم هدوء عقولكم فسنعرف بعدئذ هل ربحت أم خسرت عند ما اعترفت لكم ، إلى اللقاء ، فما زال لدىّ الكثير الذى ألوم نفسى عليه ، ولكن ذلك شىء يحس به ضميرى وحدى . عموا مساء ، أزيلوا هذه الزينات ، فإننا جميعاً نشعر أن ليس لها مكان هنا .

رورلاند : فعلا ، فعلا (يتحدث بصوت خفيض إلى المسز برنك) إذن فقد هربت ! إذن فإنها حقا لم تكن جديرة بى (بصوت مرتفع إلى حد ما للجنة) والآن أيها السادة أظن أنه من الأفضل بعد الذى سمعتموه أن ننسحب فى صمت و هدوء

هيلمار : بالله كيف يمكن للانسان بعد كل هذا أن

يرفع علم المثالية خفاقاً ، أف (فى هذه الأثناء تكون هذه المعلومات قد انتقلت من شخص لآخر ويخرج من الحديقة كل من اشترك فى الموكب كما يخرج رومل وساند ستاد وفيجلاند يسبونه فى غضب وبصوت عال وينزوى هيلمار إلى اليمين ، برنك ومسز برنك ومارتا وكراب ولونا يبقون فى الحجرة صامتين)

برنك : بيتى هل تغفرين لى ؟

مسز برنك : (تنظر إليه وهى تبتسم) هل تعلم يا كارستن أنك أظهرت لى الأمل الذى كنت أتمناه من عدة أعوام .

برنك : كيف ؟

مسز برنك : منذ عدة أعوام كنت أعتقد أنى كنت قد ربحتك ، ولكنى عدت فخسرتك ، ولكنى الآن على يقين من أنك لم تكن يوما ما ، ولكنى سأكسبك .

برنك : (وهو يطوقها بذراعه) أوه بيتى لقد كسبتنى لقد عرفتك أول الأمر حق المعرفة عن طريق لونا ، واستدعى أولاف الآن .

مسز برنك : نعم سيأتى إليك الآن ، مستر كراب !

(تتحدث إليه فى هدوء فى خلف المسرح ثم يخرج من باب الحديقة وفى أثناء الحديث التالى تطفأ الأنوار والزينات التى فى البيت ، شيئاً فشيئاً) :

برنك : (بهدوء) شكراً لك يا لونا لقد أنقذت أهم شىء فى نفسى ، أنقذت أهم شىء عندى .

لونا : وماذا كنت أحاول عمله غير هذا .

برنك : لا أدرى أكان هذا قصدك ؟ أم كان قصدك غير هذا ؟ الواقع أنى لا أعرفك على حقيقتك.

لونا : إن الصداقة القديمة لا تصدأ .

برنك : لونا !

لونا : وعندما أخبرنى يوهان بهذه الأكذوبة كلها ، أقسمت لنفسى أن بطل صباى لا بد أن يحرر نفسه منها .

برنك : أوه ما كنت أنا البائس اللئيم لأستحق هذا الخير منك !

لونا : إننا نحن النساء طالبنا بما تستحق يا كارستن ! (يدخل أون من الحديقة ومعه أولاف) .

برنك : (يذهب إليه) أولاف .

أولاف : أبى أعدك أننى لن أعود إلى ذلك مرة أخرى .

برنك : أن تهرب ؟

أولاف : نعم ، نعم أعدك بذلك يا أبتى .

برنك : وإنى لأعدك أيضاً أنك لن تضطر إلى ذلك ، فيسمح لك فى المستقبل بأن تشب على أن تكون الوارث لما أضعه أنا لك طول حياتى ، بل ستكبر لتكون إنساناً له عمل خاص به يتطلع إليه فى حياته .

أولاف : أتأذن لى أن أفعل ما أريد .

برنك : نعم ، ستفعل ما بدا لك .

أولاف : شكراً ، شكراً يا أبتى ، إذن لن أصبح من أعمدة المجتمع .

برنك : لا ؛ ولماذا ؟

أولاف : لأنى أظن أن ذلك عمل ممل خال من اللذة .

برنك : ستصبح كما تريد يا أولاف ، ودع الأيام تفعل ما تريد ، وأنت يا أون .

أون : اعلم ياسيدى أنى مفصول .

برنك : لا ، لن نفترق أبدا يا أون ، بل اغفر لى أنت.

أون : ماذا تعنى ؟ إن «الفتاة الهندية» لن تبحر الليلة .

برنك : لا ولا غداً ، إنى لم أترك ما يكفى من الوقت ويجب أن يكون الإصلاح تاماً كاملاً .

أون : سيكون ذلك يا سيدى ، بل وبالآلات الجديدة أيضاً .

برنك : سيكون ذلك ، يجب أن يكون الإصلاح كاملا وبأمانة وإخلاص إن أشياء كثيرة هنا فى حاجة إلى إصلاحها كلها من جديد ، بأمانة وإخلاص ، حسناً ، طاب مساؤك يا أون .

أون : طاب مساؤك ياسيدى ، وشكرا لك كل الشكر (يخرج من اليمين) .

لونا : لقد خرجوا الآن جميعاً .

برنك : وها نحن أولاء بمفردنا ، لم يعد اسمى مكتوبا بعد بأحرف من نار ، ولقد انطفأت الأنوار فى النوافذ .

لونا : أتريد إضاءتها من جديد ؟

برنك : لا ، ولو أعطيتنى أحسن مافى العالم ، أين كنت؟ إنك لتصعقين حين تعرفين ، وإنى لأحس بأنى عدت إلى رشدى بعد أن سرى السم فى جسدى ، إنى سأعود مرة أخرى شابا قويا . . تعالى بجانبى ، تعالى حولى ، تعالى يا بيتى ، تعالى يا أولاف ، يابنتى ، وأنت أيضاً يا مارتا ، يبدو لى أننى لم أركم منذ كل هذه السنين الطوال .

لونا : لا ، إنى لأحس بذلك ، إن مجتمعك مجتمع من العزاب ، لا ترون فيه نساء .

برنك : حقا ،حقا ، ولهذا السبب نفسه ، آه فعلا ، لقد قررت يا لونا أنك لن تتركينا : بيتى وأنا .

مسز برنك : لا لن تتركينا يا لونا .

لونا : كيف يرضى ضميرى أن أترك أسرة فى شبابها ، شرعت تقيم بيتها ، إننى زوجة أب كما تعلمين ، وأنا وأنت يا مارتا خالة وعمة ، إلام تنظرين ؟

مارتا : لقد أخذت السماء تصفو ، وأن الفجر ليشرق بنور على البحر . إن الحظ السعيد ليرافق «النخلة» .

لونا : والحظ السعيد . يرافق من على ظهرها .

برنك : ونحن أمامنا عمل طويل ، وأنا أكثركم عملا ، ولكن ليأت ذلك اليوم فطالما كنتن أيها النسوة الصادقات المخلصات إلى جانبى ، فسنحقق كل خير ، لقد عرفت ذلك أيضا فى هذه الأيام الأخيرة ، أن النساء هم عمد المجتمع .

لونا : وإذن فما عرفت إلا نوعاً تافهاً من الحكمة يا عزيزى (وهى تضع يدها بقوة على كتفه) لا ياعزيزى ، إن روح الحق وإن روح الحرية لهما وحدهما دعامتا المجتمع .

تمت

مطبعة كوستاتسوماس وشركاه
٥ شارع وقف الخربوطلي - الظاهر تليفون ٢٢١١٨

الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل، وسيطرة العادة، والتبجيل المفرط
لمفكري الماضي
أن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

روجر باكون

حصريات مجلة الابتسامة
* شهر أكتوبر 2016 *

WWW.IBTESAMH.COM

التعليم ليس استعدادا للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي



ظهر منها :
٢ الشقيقات الثلاث
تأليف
انطون تشيكوف
ترجمة وتقديم
الدكتور على الراعى
تحت الطبع
٣ سيرانو دى برجراك
تأليف
ادمون روستان
ترجمة
عباس حافظ
هنريك إبسن
روائع
المسرح العالمى
سلسلة مسرحيات
عالمية
بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب
ملتزم النشر والتوزيع: الشركة التعاونية للطباعة والنشر
١٤ ش عماد الدين
تليفون ٤١٣٠٣